التوبـة

إعداد
أحمد أبو شوشة

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢٤٣
أ . أ

أبو شوشة ،أحمد .

التوبـة / أحمد أبـو شوشـة.- ط١.- دسـوق: دار العلـم والإيمـان للنشـر والتوزيع

١٢٨ ص ؛ ١٧,٥ × ٢٤,٥سم .

تدمك : 1–346 – 308 – 977 – 978

١. التوبة (الإسلام). ٢. الأخلاق الإسلامية

أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٩٤٣٢

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

2012

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه ونسترضيه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحاجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو مشرك ، اللّهم إجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب:٧٠]

● **أمـا بعـد :-**

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

● **ثم أمـا بعـد عباد الله:-**

- نحن بصدد التكلم عن موضوع مهم للكبير والصغير، للرجل والمرأة ، هو موضوع الساعة ، هو أمل العاصي ، هو دأب المؤمن آلا وهو التوبة :

وقد جَمَعت فيه مادة هذا البحث سائلاً الله - عز وجل- أن ينفع به ويجعله صدقة جارية لي إنه وَلِيّ ذلك والقادر عليه وهو بحث مكون من سبعة فصول كلها خاصة بالتوبة وسأعرض في **الفصل الأول** كل شيء عن التوبة وقمت فيه بتعريف التوبة وشروطها وأوقات قبولها ومتى يوصد بابها ومراتب الناس فيها وجزاء من يُحَصِّل التوبة "الجنة" وجزاء من لم يُحَصِّلها "النار" ، **أما الفصل الثاني**: فسأعرض فيه فضائل التوبة ، **أما الفصل الثالث**: فسأعرض فيه علامات قبول التوبة **أما الفصل الرابع**: فسأعرض فيه نواقض التوبة ، **أما الفصل الخامس**: فسأعرض فيه عوامل الثبات على التوبة ، **أما الفصل السادس**: فسأعرض فيه أثر المعاصي والذنوب على التوبة ، **أما الفصل السابع**: فسأعرض صور من الذين عَرَفوا طريق التوبة وذاقوا حلاوتها والذين لم يتمكنوا من الحصول عليها .

الفصل الأول





التوبة لغة: هي العودة والرجوع، فيقال تاب الرجل من سفره أي عاد ورجع إلى بيته.

إصطلاحا : هي العودة من المعاصي إلى الطاعات والرجوع إلي ما يرضى رب الأرض والسماوات.

قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨]

نجد أن الله في هذه الآية دعا جميع المسلمين إلى الإسراع في الدخول في التوبة والولوج فيها ووعدهم بالجزاء الأوفى وهو الدخول في رضا الرحمن وفسيح الجنان والبعد عن النيران والتمتع بصنع الرحمن وبالغفران ورضا المنان وتوعد من يؤخرها إلى أخر وقتها فلم يستطع تحصيلها بالخلود في النيران وشديد العذاب وغضب من الرحمن **قال تعالى:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) ﴾ [الحُجُرات:١١]

أي هم الذين ظلموا أنفسهم وقال تعالى أيضا ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فُصِّلَت:٤٦] أي لا يظلم ربك أحدا

وقال تعالى أيضا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٨) ﴾ [التحريم:٨]

والتوبـة النصـوح : هـي الواضـحة الـتي لا زيـغ فيهـا ولا عـودة فيهـا إلى المعاصي وفيها ندم على اقتراف الذنوب .

- وللتوبة شروط منها :-

أولا: الاستغفار باللسان :-

ولا بـد مـن تحريـك اللسـان فيهـا لكـي تحسـب الحسـنات وتكفـر وتغفـر السيئات والـزلات وللاستغفار عامـل السـحر في صـحة التوبـة فهـو يـؤدي إلى تنـاثر السيئات وتبديلها بالحسنات التي تساعد الناس على الحصول على رضا الرحمن وبالتالي قبول التوبة ومن يغفر الذنوب إلا الله فلابد لك من تقديم الاستغفار لله

الواحد الغفار ثم بعد ذلك يقبل منك التوبة ويبدل السيئات إلى حسنات مع عدم الإصرار على الذنب .

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

ثانيا: العزم على عدم العودة إلى الذنب بالجنان :-

أي لابد من أن يتحرك القلب حسرة وتوجعاً وندماً على ما اقترف من الذنوب و المعاصي طالباً من الله العفو والصفح والمغفرة ومن يغفر الذنوب غيره ومن يعفو ومن يصفح غيره فهو الرحيم الودود الكريم يجيب من دعاه .

ثالثا: العزم على عدم العودة إلى الذنب بالأبدان :-

بحيث لا أذهب إلى الذنب بقدمي و لا أفعل ما يغضب الله بيدي ولا أستعمل فرجي في معصية الله وأن أغض بصري عن معصيته وأن أقطع كل ما يوصل إلى معصية الله ولا بد من العلم بأنك راجع إليه ليطلعك على ما كنت تفعل في الدنيا فإن كان خيراً فأحمد الله وإن شراً فلا تلومن إلاّ نفسك قال رسول الله- ﷺ - "إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن إلاّ نفسه".

رابعا : مقاطعة سيئ الخلان :-

أي مقاطعة أصحاب السوء وذلك لأن الصاحب صاحب فإما أن يأخذ بيدك إلى الجنة وإما أن يُلْقي بك في النار، فأحرص على مصاحبة الأخيار من

الناس وابتعد عن من يجر برجلك إلى الرذيلة لأنه سيأتي يوم يندم فيه الناس على مصاحبة هؤلاء الناس **قال تعالى** :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان:٢٧:٢٩]

فبعد أن كان يصلى ويذكر ربه ويصوم ويتبع سنة الرسول أخذ في التعرف على من يحول بينه وبين هذه الأفعال الحميدة التي كان يفعلها وأخذ يأخذه إلى المعاصي ويبعده عن الطاعات ويبعده عن ذكر الله ويأخذه لطريق الشيطان الذي سيخذله في آخر الطريق ويؤدي إلى دخوله النار مستحقاً بذلك عذاب الرحمن وغضبه ، قال رسول الله - ﷺ - " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" فإن كان صديقه صالحاً فسيساعده على إصلاح ما فسد من حياته ويأخذ بيده في السير على الطريق المستقيم وإن كان صديقه مفسداً سيأخذه إلى بئر المعصية ويزل به حتى يهلك .

خامسا : رد المظالم إلى أهلها :-

لأنه في يوم القيامة عند الحساب يختصم الناس أمام العزيز الجبار الملك العدل فيقول فلان يا رب عندي مظلمة من فلان فيؤخذ من حسناته فيوضع على حسنات الأخر وهكذا حتى إذا ما فنيت حسناته أخذ من سيئات صاحب المظلمة ووضع على سيئاته فخف ميزانه فَأُدْخِلَ النار قال رسول الله - ﷺ - " أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم عنده ولا دينار، قال: لا ، ولكن المفلس من

يأتي يوم القيامة وقد سب هذا وسفك دم هذا وهتك عرض هذا . فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا ما فنيت حسناته أخذ من سيئات المظلوم ووضع على سيئاته فخف ميزانه فأدخل النار".

فسارع إلى تخليص نفسك من مظالم الناس من قبل أن يأتي يوم الحساب وتندم وتتحسر على ما قدمت يداك من مظالم للناس .

سادسا : رد الدين إلى مستحقيه :-

لأنه لا يدخل الجنة رجلاً حتى يوفي دينه مهما صغر أو كبر وهذا ما وصفه الرسول -ﷺ- في رحلة المعراج يؤكد ذلك حيث ذكر أنه في الحديث رأى رجلا في وجهه قطعة من نار وعلى رأسه ملك وفي يده دينار يرمى بالدينار في قعر نهر من نار ويغطس حتى يأتي في قعر النهر وعندما سأل الرسول عن سبب عذابه قال له هذا رجل عليه دين ويعذب لعدم سداد الدين خالداً على هذا الحال أَتَرْضى أن تكون هو؟ لا والله فإن كان ذلك جوابك فسارع إلى سداد دينك من قبل أن يأتي يوم لا بد فيه من رد هذه الديون في الدنيا أو بعد الموت فعجل بسدادها في الدنيا من قبل أن يأتيك الموت لأنك لا تعلم متى يأتي فالموت إذا جاء فإنه يأتي فجأة وعندها تكون الطامة الكبرى فقد تكون ممن يصلى ويعبد الله وتدخل بهذا الدَّيْنَ النار لتحاسب فلابد من تحصيل الدين وفي الآخرة لا يكون السداد إلا عن طريق العذاب في النار.

وأعلم يا أخي أنه لابد من الإسراع بالتوبة من قبل أن يُقفل بابها ، **قال تعالى :**

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

واعلم أن باب التوبة مفتوح في كل وقت وحين ما عدا وقتين فقط.

الأول: بعد طلوع الشمس من مغربها :-

قال رسول - ﷺ - "أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل".

ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخير. نزولاً يليق بجلاله وعظيم سلطانه فكل ما دار ببالك فالله غير ذلك. فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له.

قال رسول الله - ﷺ - " إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا و الآخرة إلا أعطاه وذلك في كل ليلة".

فسارع بالتوبة من قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه العمل ولا تنفع فيه التوبة فهي تقفل بابها بعد طلوع الشمس من مغربها عندها لا ينفع الندم ولا ينفعك ما تقدمه بعد ذلك.

الثاني: عند حشرجة الروح في الحلقوم :-

عندما تصل الروح إلى الحنجرة قبل الموت بلحظات قليلة، **قال تعالى**:

﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٔٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ ﴾ [النساء: ١٨]

انظر إلى شدة الوعيد وكيف ساوى الله بين اللذين لا يحصلون التوبة وبين الكافر الذي مات على الكفر وجعلهم في مصير واحد هو العذاب الأليم في النار فإذا مات على معصية وعدم توبة كان هذا مصيره فاحظر مكر الله، وأحظر من التسويف فقد قال عنهم المصطفي " هلك المسوفون ؟ قيل وما المسوفون يا رسول الله ؟ قال هذا رجل يقول سوف أتوب ويؤخره حتى يأتيه الموت فجأة" وضرب الله لنا مثلا بفرعون عندما أشرف على الغرق بعد مطاردته لموسى ومن آمن معه بجيشه قال مستكبراً كما **قال ربنا في كتابه**:

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠]

فرد عليه ربنا تبارك وتعالى مستنكراً ومعلنا كفره للناس جميعا :

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس:٩١]

- **يا أخي ألا تعلم أن الله يفرح بتوبتك كما جاء في الحديث الشريف :-**

قال رسول الله - ﷺ - "لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل في فلاة مقفرة ومعه دابته وطعامه فنام من شدة التعب فأسند رأسه على ذراعه ونام فاستيقظ من نومه فوجد راحلته قد اختفت فأخذ في البحث عنها حتى تعب وأيقن بالهلاك فأستظل بشجرة ونام ينتظر الموت فاستيقظ فإذا بدابته موجودة أمامه وعليها زاده وطعامه فقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطاء من شدة الفرح".

فكيف يكون فرح الذي أيقن بالهلاك عندما ينجو من الهلاك مما يجعله يخطئ في شكره لله عزوجل قائلاً اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، ولله المثل الأعلى فكيف يكون فرح ربنا بعودة عبده العاصي إليه نادماً تائباً على ما اقترف من المعاصي ونحن نؤمن بأن الله ليس له شبيه و لا مثيل وكيف وتعيين .

- لا تيأس يا أخي فإنك إن عصيت مرة فاستغفرت غفر الله لك وهذه هي الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق ألا وهى تذكر الله والندم على فعلها قال رسول الله - ﷺ - " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتي بقوم يذنبون فيستغفروا الله فيغفر لهم" فأبشر بالغفران بمجرد ترديدك لألفاظ التوبة فالله غفور يقبل ويعفو ويصفح مهما طال بك العمر ومهما زاد اقترافك للمعاصي فهو كريم يجيب من استغفره على معاصيه مع حضور القلب خالصاً لله - عز وجل- .

فَرُويّ أن شاباً من بني إسرائيل عَبدَ الله عشرين عاماً ثم عصاه عشرين أخرى فنظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فبكى وقال يارب عبدتك عشرين عاما ثم عصيتك عشرين أخرى فهل إذا عدت إليك تقبلني فسمع منادى يقول عبدتنا فأحببناك وعصيتنا فأمهلناك وإذا رجعت إلينا قبلناك .

فيا من يأس من التوبة واستمر في المعاصي اعلم أنك إذا رجعت إلى الله قبلك وحول هذه المعاصي إلى مغفرة .

فرصة عظيمة يا من ضيعت الصلاة عد إلى الله فيقبلك، يا من ترى المنكرات عد إلى الله فيقبلك فهو الذي أمرك بالتوبة و وعدك بالمغفرة من كل الذنوب ذلك إذا تركت المعاصي وعدت إليه عودة لا رجوع فيها إلى المعاصي فالله

هو الغفور، هو الودود، هو الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء فبادر إلى العودة إليه فهو ملاذ المحتاجين وملجأ الفارين إليه من المعاصي.

● والناس في التوبة على أربعة مراتب :-

- **المرتبة الأولى :** من لم يتب في حياته قط فهو متبع لطريق الشهوات ويأتي من المنكرات كل أنواعها وبعيد عن الله لا يدخل المسجد في حياته قط إلا مرة واحدة لا لِيُصَلي ولكن لَيُصَلى عليه، لا يُدْخله على قدميه ولكن محمولا على الأعناق فهو ولا شك من أهل النار.

- **المرتبة الثانية :** من يعمل بطاعة الله حينا من الزمان حتى إذا طال عليه الأمد أخذ في البعد عن الطاعات والانغماس في المعاصي وتتبع الشهوات فبعد أن كان يصلى أخذ في البعد عنها وأخذ في النظر إلى ما حرم الله فيموت على المعصية وفيه قال الرسول الكريم :-" من الناس من يعمل بطاعة الله حينا من الزمان حتى ما يكون بينه وبينها -**يقصد الجنة**- إلا زراع فيكتب عليه الأجل فيعمل بعمل أهل النار فيموت على ذلك فيدخلها ".

- **المرتبة الثالثة :** من الناس من يعمل بمعصية الله حينا من الزمان ثم يعمل بعمل أهل الجنة من الطاعات فيصلى و يصوم و يزكى و يحج و يعمل من الصالحات كل أنواعها فيموت على طاعة الله - عز وجل- فيدخل الجنة وفيه يقول الرسول الكريم - ﷺ - "من الناس من يعمل بعمل أهل النار حينا من الزمان حتى ما يكون بينه وبينها -**يقصد النار**- إلا زراع فيكتب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " وقال أيضا - ﷺ - " يُبعث المرء على ما مات عليه ".

- **المرتبة الرابعة** : هي من يعمل بطاعة الله منذ ولادته إلى مماته وهم بلا شك أنقى وأطهر أهل الأرض هم الأنبياء والصالحين و حسن أولئك رفيقا.

- يا أخي سارع إلى التوبة وسارع إلى المغفرة لتنول الرضوان والعتق من النيران **قال تعالى**:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران:١٣٣]

لا تقل أذنبت اعلم أنك إذا رجعت إليه قَبَلَكَ قال رسول الله - ﷺ - " يقول الرب لجبريل أذنب عبدي ذنبا فتذكرني فاستغفرني علم أن له ربا يغفر الذنب فأشهدكم يا ملائكتي أنى قد غفرت له ثم يقول يا جبريل أذنب عبدي ذنباً فاستغفرني ، عَلِمَ أن له رباً يغفر الذنوب فليفعل عبدي ما شاء ".

يا لكرم الكريم يغفر الذنوب الكثيرة والكبيرة فيا مذنب استغفر الله عسى الله أن يقبل وعسى أن يرحم إن الرحمن إذا أعطى عطية أعطى عطاء الكريم وأعلم أن الله هو الذي يغفر الذنوب ويستر العيوب فلا تنظر إلي الدنيا وزينتها وأنظر إلى رضا ربك ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يجمع للنفاد أترضى أن تكون رفيق قوم -**أهل الجنة**- لهم زاد وأنت بغير زاد كما **قال القائل**:

النفس تبكي على الدنيا وقد

علمت أن السلامة ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها

إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فــإن بناهـــا بخيــر طــاب مســكنها

وإن بناهـــا بشـــر خـــاب بانيهـــا

- وأعمل لجنة عرضها كعرض السماوات والأرض وأرجو رضا الله واعلم أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله قط فلا يغرنك عملك وأرجو رحمة الله ومغفرته فهذا والله هو الفوز الكبير قال رسول الله - ﷺ - " اعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ".

والجنة عباد الله فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا ورد على قلب بشر كلما اشتهيت فيها شيئا وجدته أمامك فما عليك إلا أن تقول بسمك اللهم وستجده أمامك ، الجنة ماؤها أحلى من العسل فيها أنهار من عسل مصفى وأنهار من لبن لذة للشاربين والجنة فيها فاكهة ليست كفاكهة الدنيا نَعَـمْ الشكل واحد والمسمى واحد ولكن الطعم مختلف والجنة فيها الحور الحسان التي لو طلع نور بنانها على الأرض لأشرقت جنبات الأرض من نور بنانها فكيف لو ظهرت كلها، كل مرة تجامعها فيها تجدها بكرا ويكفيك أن تعلم أن الله هو الذي أعدها لك بيده فكيف يكون صنع الرحمن الذي أحسن كل شيء خلقه .

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٧]

- وأعلم أن كل هذا النعيم يهون ويصغر أمام نظرة واحدة لوجه ربنا تبارك أسماؤه وعظم جاهه .

قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢:٢٣]

فهذا والله نعيم لا يضاهيه نعيم نظرة واحدة في وجه ربنا ترضينا فنحن في شوق إلى رؤيته ونحن في شوق إلى أن نجتمع معه في يوم اللقاء يوم الجمعة في الجنة ونحن في شوق إلى أن يحل علينا رضوانه فلا يغضب علينا أبدا ، فنعمت من دار نرى فيها ربنا -عز وجل- ونجتمع فيها مع ربنا فمن يشترى الدار :

اعمل لجنة غد رضوان خازنها

والجار أحمد والرحمن ناشئها

قصورها ذهب والمسك طينتها

والزعفران حشيش ثابت فيها

واحذر من النار فالنار لظى والنار هي الهاوية والنار هي الحُطمة ، النار حرها شديد وقعرها بعيد والنار ظلمات أشعل عليها ألف سنة حتى ابيضت وألف سنة حتى احمرت وألف سنة حتى اسودت ظلمات بعضها فوق بعض لا يؤوى فيها إلا الظلمة ، غذاءه فيها من شجرة الزقوم الذي لا يسمن ولا يغنى من جوع وشرابه فيها من الحميم فشرابه شرب الهيم ؛ والهيم هو شرب الإبل العطشى ، وإذا أرادوا أن يستظلوا استظلوا بظل من يحموم من نار ولباسهم فيها من النار أنظر إلى هذه المعيشة فهل ترضاها دارا فبئست من دار و بئس القرار.

ويكفيك أن تعلم أن أهون أهل النار عذاباً هو رجل يوضع تحت قدميه جمرتين من نار تفور منهما دماغه فهل تريد أن تكون أنت هو؟ لا والله فإنها دار خربة ودار ليست بدار فبئس الدار وبئس القرار.

ويكفيك أن تعلم أنه يؤتى بأبئس أهل الأرض وهو من أهل الجنة فيغمس في الجنة غمسه واحدة فيقال له هل رأيت بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط .

- ويؤتى بأنعم أهل الأرض وهو من أهل النار فيغمس في النار غمسه واحدة فيقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا بعزتك ما رأيت نعيماً قط . فكيف بمن يكون من أهلها ،غَمْسه واحدة تُنْسى أهل النعيم نعيم الدنيا كله فكيف بمن يخلد فيها ويغلق عليه فيها ويقال له أخسئ فيها خالداً بلا موت .

فتخير لنفسك دارا وإياك أن تكون دار البوار فسارع إلى الدخول في التوبة من قبل أن يغلق بابها ومن قبل: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّمَر:٥٦]

وتقول أخرى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

[المؤمنون:٩٩:١٠٠]

وتقول أخرى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠]

فالبدار البدار والمسارعة في طلب المغفرة وابتغى توبة قبل الموت فإن الموت يأتي فجأة وعندها تكون الطامة وتنال شديد العذاب وذلك بتأخيرك للتوبة .

الفصـــل الثاني



- اعلم أن للتوبة فضائل كثيرة منها :-

أولا: بالتوبة يحصل الفرد على محبة الله عز وجل :-

قال تعالى:

﴿........إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

[البقرة:٢٢٢]

ويا لها من فضيلة عظيمة أن يحبك الله فإذا أحبك جعل كل الناس يحبونك .

فإن الله إذا أحب أحداً قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل لحب الله له وينادى جبريل في الملائكة إن الله يحب فلان فتحبه الملائكة لحب ربها له ويبسط له القبول في الأرض فيحبه كل من في الأرض ليس الإنسان فقط ولكن كل شيء على الأرض .

كما أورد البخاري في كتابه باب **"المقت من الله "** ثم أورد حديثا يدل على ذلك:

قال رسول الله - ﷺ - " إذا أحب الله العبد قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبوه فيحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله أحد قال لجبريل إني أبغض فلانا

فيبغضه جبريل ويقول للملائكة إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغض في الأرض".

* فرصة عظيمة يا من يشتكي من قلة الأحبة والخلان إذا عدت إلى الله وتبت إليه بسط لك الحب في الأرض يا من يشتكي الوحدة وقلة حب الناس له آلا يكفيك أن يحبك ملك الملوك والله هي غايتنا وسعادتنا وأغلى أمانينا فبحب الله نجونا من النار.

فنحن نعيش في هذه الدنيا راجين حب الله ورضوانه فهي النعمة التي لو حصلنا عليها لفزنا بروح وريحان ودخول الجنان والعتق من النيران ورضا من الرحمن.

- **ولكن اعلم أن لحب الله علامات :-**

اعلم أن حب الله لا يكون إلا بالطاعة لكل ما جاء به الله بإتباع كل ما أمر به و اجتناب كل نواهيه فلا يعقل أن يطاع من لا تحبه طاعة رغبة ورهبة لا طاعة جبر كما **قال القائل** :

أتـــدعى حـــب الإلـــه و أنـــت
مخـــالف لـــه فكـــذب و هـــراء
فالحـــب أولـــى علاماتـــه
طاعـــة وولاء وإتبـــاع

و من علامات حب الله أيضا إتباع النبي في كل ما بلغ عن رب العزة تبارك وتعالى **قال تعالى**:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

[آل عمران:٣١]

فباتباعك للنبي تحصل على محبة الله جل وعلى فأبشر يا من آمنت بالرسول - ﷺ - وأتبعت طريقه بحب الله لك.

ومن علامات حب الله أيضا رضاك أنت عن الله وعدم السخط من قضائه فهو أعلم بما ينفعك وبما يضرك وهى من علامات المؤمنون **قال تعالى:**

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة:٨]

أعلم أن في هذه الآية علامة أخرى من علامات حب الله آلا وهى خشية الله تعالى فبخشيتك تحصل على رضاه جل وعلى ومحبته.

- ومن علامات حب الله أيضا كثرة الابتلاء فورد عن النبي - ﷺ - أنه قال " إذا أحب الله عبداً ابتلاه" ويبتلى المرء على قدر إيمانه فأبشر يا من وقع في البلاء بحب الله لك أليس الصادق هو الذي يقول لك هذا الكلام وأعلم أن الله يكثر البلاء على من يحبه حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة فيا من وقعت في البلاء بحب الله لك فلا تتحسر من كثرة وقوع البلاء وأعلم أن البلاء كلما زاد على العبد كلما كان من الأعلى في الدرجات والكثير من الحسنات أليس الرسول - ﷺ - يقول "يبتلى المرء على قدر دينه، وأكثر الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يَلَوْنَهم".

- ومن علامات المحبة أيضا الإكثار من فعل الطاعات والبعد عن المنكرات فإذا رأيت في نفسك زيادة في أعمال الخير كلها وتحب الإتيان منها فاعلم أن الله

يحبك بأن جعلك تتقرب إليه بفعل الكثير من الطاعات فإنها من علامات الإيمان التي امتدح بها المؤمنون وجعلها من علامات الإيمان **قال تعالى**:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون:١:٤]

إلى آخر هذه الآيات التي امتدح فيها المؤمنون وأعلم أن الله إذا امتدح فعل شخص فإنه أحبه ولا تحصل على رضاه إلا بالطاعة وجعل علامة حبه كثرة طاعته طمعا في رضاه وجعلها علامة للقرب منه - عز وجل- .

قال الله في الحديث القدسي :-" ما تقرب إلي عبد بشيء أفضل مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلَيَّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سَمْعِهِ الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده إلَيَّ يُبْطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن سألني لأعطينه ."

ثانيا، بالتوبة يفرح الله -عز وجل- بك :-

فالله - عز وجل- يفرح بتوبة عبده الذي عصاه ثم عاد إليه نادماً على ما اقترف من الذنوب وقد ضرب لنا رسول الله أروع الأمثلة لفرحة ربنا تباركت أسماؤه وعظم جاهه ونحن نؤمن بأن الله ليس له مثيل فهو غني عن التشبيه والتمثيل والتكييف فكل ما جاء ببالك فالله غير ذلك فربنا تبارك وتعالى هو الكمال الذي ليس بعده كمال فصفاته كلها صفات لا يضاهيها أي صفة في صفات المخلوقين في الدنيا حتى ولو كان أكمل الخلق محمد - ﷺ - .

فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فأضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فقال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح".

فيا له من كرم للكريم يفرح بتوبة عبده العاصي إذا عاد إليه وهو الغنيّ عن كل الناس فهو أحق من عبد وأعظم من أبتغى وكيف يكون فرح الرجل الذي أيقن بالهلاك عند النجاة ولله المثل الأعلى فكيف يكون فرح ربنا بتوبة عبده العاصي إذا عاد إلى طاعته .

- يعصاه وإذا رجع إليه قبله ، يعصاه وإذا تاب عن معاصيه تاب عليه ، فأبشر يا من وقعت في المعاصي أنك إذا وقعت في المعاصي فلا تيأس من رحمة الله فالله هو الغفور يفرح بتوبتك **قال تعالى**:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزُّمَر:٥٣]

ثالثا ، بالتوبة من الذنوب والمعاصي يبدل الله هذه الذنوب والمعاصي إلى حسنات،- **قال تعالى**:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)﴾ [الفرقان:٦٨: ٧٠]

نجد أن الله في هذه الآية امتدح ما يفعله المؤمنون من توحيدهم لله وامتثالهم لنهيه بعدم قتل النفس إلا بحقها وعدم الزنا أيضا وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب بل ومضاعفة العذاب له يوم القيامة والخلود فيها مُهَانا مذلولاً ووعد من تاب من كل الذنوب بقبول التوبة بل ولكرمه وفضله وعظيم عطاياه يبدل الله هذه السيئات التي إقترفها إلى حسنات ويغفر له مغفرة عظيمة أبشر يا من أذنبت أنك بتوبتك لله توبة خالصة نصوحا فإن الله يبدل كل ما إقترفته من الذنوب إلى حسنات بل ومن عظيم فضله يضاعفها لك أضعاف كثيرة.

وورد عن النبي- ﷺ - أنه قال" يؤتى بالعبد يوم القيامة وفي يده صحائفه فيقول له الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب ،ويقول الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يا رب وقد أيقن بالهلاك فيقول الرب للعبد لقد سترتها عليك في الدنيا واليوم أسترها عليك في الآخرة " .

يا له من كرم للكريم يغفر الذنوب ويستر العيوب بل ولعظيم فضله يسترها للمذنب في الآخرة فالله يوزع عطاياه في الآخرة على كل الناس حتى أنه من جليل فضله يطمع إبليس في المغفرة والعتق من النار.

بل من عظيم فضله وكرمه يعتق من النار أناساً لم يفعلوا الخير في حياتهم أبدا لمجرد حسن ظنهم بالله يقول رسول الله - ﷺ - " يؤتي بالعبد يوم القيامة فيقول له الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يارب أذكر، ويقول الرب أتذكر يوم كذا يوم فعلت كذا وكذا فيقول العبد بلى يارب أذكر وقد أيقن بالهلاك فيأمر ملائكته فتأخذه إلي النار وبينما هم كذلك إذا بالعبد ينظر إلي

ربه فيقول له الرب هل ظلمناك هل لك مظلمة فيقول لا يارب ما كان هذا ظني بك فيدخله الله الجنة ".

فيا عظيم فضله ورحمته وعطاياه يعطى لمجرد حسن الظن به فاللهم يارب لا تحاسبنا بعملنا وحاسبنا بعظيم فضلك.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن
فبمن يلوذ ويستجير الآثم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعا
فإذا رددت يدي من ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجاء
وعظيم فضلك ثم أني مسلم

رابعا: التوبة الصادقة من كل الذنوب تدخل صاحبها الجنة :

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم:٨]

- نجد أن الله في هذه الآية يدعو جميع المؤمنون إلى الدخول في التوبة وأن تكون توبتهم من الذنوب توبة نصوحا والتوبة النصوح هي التي لا زيغ فيها و لا رجوع فيها إلى المعاصي رجاء أن يكفر عنهم ربهم ذنوبهم وقال العلماء أن أي لفظة فيها رجاء داخل القرآن هي لتأكيد هذا الحكم ، أبشر يا من وقع في المعاصي بالغفران وبالتالي العتق من النيران ودخول فسيح الجنان التي تجرى من تحتها الأنهار وذلك إذا تبت ورجعت عن المعاصي إلى رضي الله عزوجل وعملت من الطاعات كل طرقها فيبدل الله هذه السيئات إلى حسنات ويثقل الميزان وبالتالي يستحق دخول الجنان.

خامسا ، بالتوبة تفتح أبواب الرجاء في عفو الرحمن ومغفرته طمعا في قبول التوبة وألا يطردوا من رحمة الله وألا يوصد بينهم وبين الله باب ،-

قال تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣]

- نجد أن الله في هذه الآية دعا الناس إلى عدم الخوف من كثرة وقوعهم في المعاصي وبشرهم برحمته الواسعة حتى أن الله من عظيم كرمه وفضله يغفر الذنوب جميعا إذا تاب من المعاصي بل ويحول هذه الذنوب والمعاصي والخطايا إلى حسنات لكن لا يغرنك هذا وكن على حذر لأنك لا تعلم في أي وقت تكون النهاية فلابد أن يكون عملك بطاعة حتى تموت على طاعة وحسن الخاتمة فالله اشترط لدخول الجنة والتمتع فيها الموت على حُسْن الخاتمة فالله من عظيم فضله تفضل على عباده بقبول التوبة

والدخول في رحمة الله عز وجل بل ومن كثير فضله ورحمته على عباده وعدهم بمغفرة الذنوب جميعها فاللهم لا تحرمني من عظيم فضلك الذي وسع الدنيا كلها .

بـــكَ أســـتجير ومـــن يجيـــر ســـواك

فـــأجر ضـــعيفا يحتمـــي بحمـــاك

ربـــى جئتـــك معترفـــا بخطيئتـــي

فـــأغفر لعبـــد تجـــرأ وعصـــاك

سادسا : التوبة تؤدى إلى فتح أبواب الاستغفار وتذكر الله -عز وجل- :-

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

- نجد أن الله في هذه الآية امتدح المؤمنون الذين إذا أذنبوا ذنبا تذكروا الله فعجلوا بالإستغفار لله الواحد الغفار وعلموا أن لهم ربا يغفر الذنوب جميعها كبيرها وصغيرها ولجأوا إلى الغفور الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وعرفوا الطريق الصحيح فتضرعوا إليه لمغفرة الذنوب فداوموا على الاستغفار إلى العزيز ولم يصروا على المعاصي بعد أن عَلِمُوها وَعَلِمُوا ضررها واتجهوا إلى الله عز وجل راجين منه أن يغفر الذنوب ويرضى عنهم ولا يغضب عليهم أبدا.

سابعا : التوبة تؤدي إلى ثناء الله على عباده المداومين على الاستغفار:-

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

[آل عمران:١٦:١٧]

- نجد أن الله في هذه الآية امتدح فعل المؤمنين من أنهم مع كل ما يفعلون من خيرات يداومون على الإستغفار وكذلك حال المؤمن إذا ما وقع في المعصية فإنه يرجع إلى ربه بالاستغفار.

كما قال عبد الله بن مسعود " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل عالي يوشك أن يقع عليه ، وأن المنافق يرى ذنوبه كأنها ذبابة مرت من على أنفه فحرك إليها يده هكذا " ووضع يده على أنفه .

والله – عز وجل- امتدحهم إذ أقسم بهم في هذه الآية قائلاً المستغفرين بالأسحار مادحاً فعلهم من استغفارهم إياه بالليل والناس في نومهم وهم قيام إلى ربهم ذلك بأن ذنوبهم على أكتافهم ثقيلة فقاموا الليل يستغفرون داعين الله أن يغفر لهم هذه الذنوب ويخفف عنهم حملها ، فيا من وقعت في الذنوب قم إلى الله طالباً صَفحِهِ وَعَفوه وكرمه فهو الكريم الذي يغفر الذنوب الكثيرة لكن عليك أن تقدم طلباً بمغفرة الذنوب فأنت عليك بالاستغفار لله الواحد القهار وهو عليه العفو والصفح والجزاء الأوفى والتكرم على عباده المستغفرين النادمين من الذنوب بالدخول في الجنان والتمتع في صنع الرحمن فبالاستغفار تحصل على رضا الله عزوجل.

ثامنا ، التائب من ذنبه محل رعاية الله وأهل لحفظه ورحمته وينعم عليه بالثواب العظيم والنعيم المقيم :-

قال تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٦]

واعلم أن الله تعالى هو الذي يحفظك من الذنوب ويساعدك على تحمل أعباء الطاعة وبعد ذلك وعدك بالمغفرة وهذا والله نعيم لا يضاهيه نعيم يساعدك على الطاعة ثم بعد ذلك يكافئك على صبرك على تحمل الطاعة وبعد ذلك يعطيك الجنة وتدخلها خالداً فيها ثم يمدحك على فعلك بقوله ونعم أجر العاملين .

وقال رسول الله - ﷺ - "يقول الرب تبارك وتعالى أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني" فأنت بذكرك لله تدخل في معيته وحفظه فمن يقدر عليك بعد ذلك أو يقترب منك فأنت في حفظ الله جل وعلى فأبشر بحفظ الله لك فلن يجد الشيطان إليك سبيلا وبالتالي ستكثر من الطاعات تقرباً لرب الأرض والسموات فمن يحول بينك وبينه بعد الدخول في معيته بل ويتكرم عليك بالدخول في رحمته ومغفرته والتمتع في عطاياه من الغفران والدخول في فسيح الجنان .

تاسعا ، التوبة مع المداومة على الاستغفار مع التوبة من الذنوب والمعاصي سبباً من أسباب الخصب والنماء وكثرة النسل وتوسعة الرزق وزيادة العزة والمنعة،-

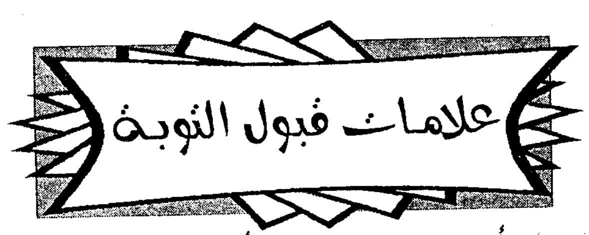
قال تعالى:-

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠: ١٢]

فبالإستغفار يغفر الله لك ويوسع عليك من الرزق كل ما تشتهي في الدنيا من مال وبنين و زروع وماء وكل أنواع المعيشة فالله جعل الاستغفار لله الواحد القهار سبباً من أسباب إنعامه على الناس ومن توسعة الأرزاق ثم بعد ذلك زاد في الإنعام على المستغفرين ووعدهم بالدخول في فسيح الجنان التي تجرى من تحتها الأنهار ونعم أجر العاملين .

الفصـل الثالـث





* وبعد أن قمنا بتذكير أنفسنا بفضائل التوبة يطرأ سؤال مهم ألا وهو :-

هل لقبول التوبة من علامات يعرف بها العبد أن توبته إلى الله قد قبلت ؟

- **ونقول نعم** : فالتوبة من الذنوب ليست كلمة تقال فقط ولكن لابد لصدقها من دليل عملي على صدقها.

ومن العلامات الدالة على صدقها :-

أولا:- الإقلاع الفعلي عن الذنوب جميعها كبيرها وصغيرها حتى قال أحدهم :

خلـــى الـــذنوب كبيرهـــا وصـــغيرها

فـــإن الجبـــال مـــن الثـــرى

ثانيا :- العزم على تدارك ما فات واصلاح ما مضي من تفريط.

ثالثا :- أن يكون حاله بعد التوبة أحسن مما كان عليه قبلها.

رابعا :- أن لا يأمن مكر الله طرفة عين ويكون ممن يقول عنهم ربنا في كتابه العزيز:

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾ [المعارج:٢٧:٢٨]

فيصطحبه الخوف من الله طيلة حياته.

خامسا :- أن يتقطع قلبه ندما وخوفاً وحسرة على ما فرط منه وخوفاً من سوء الخاتمة.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

[الحشر: ١٠]

سادساً :- أن يذكر سرعة لقائه بربه ويترقب في كل لحظة نزول الموت به وأنه أقرب إليه من شراك نعله فأهل الضلال يرون هذا اليوم بعيداً وأهل الإيمان يرون هذا اليوم قريباً كما قال ربنا تباركت أسماؤه :

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦:٧]

سابعاً :- وأهم علامات صدق التوبة هي محبتك لله عز وجل ومحبتك لرسوله - ﷺ - ومحبتك لكل المؤمنين والإتيان من الأعمال بما تقضيه هذه المحبة.

ثامناً :- الاقتداء بالنبي - ﷺ - في كل ما أمر به والانتهاء عن كل ما نهى عنه وإتباع سنته في القول والفعل والعمل مع الإيمان به وتصديق كل ما جاء به و الزود عنه في كل شيء مصداقا لقوله - عز وجل -

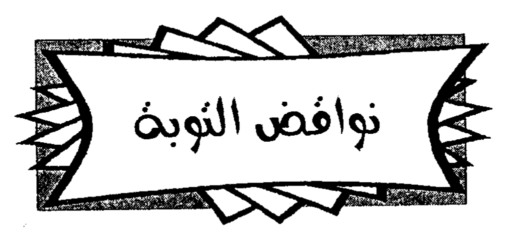
﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة: ٦]

تاسعاً :- الإتيان من كل الطاعات كبيرها وصغيرها وأن يتقي الله في كل شيء مصداقاً **لقوله تعالى:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة:١١]

فأنت تأتي من كل الطاعات راجياً رضا الله - عز وجل- والاعتماد عليه والتوكل عليه.

الفصل الرابع



نواقض التوبة

التوبة مقام يصحبه العبد من أول ما يدخل فيه إلى آخر حياته فعليه ألاّ يرجع إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع فإن رجع إلى المعصية وعاود الذنب فقد نقض توبته إذ أن صحة التوبة حينئذ مشروطة باستمرار التائب على دربه من البعد عن المعاصي فإذا تاب العبد من ذنب معين ثم عاود فعله فإنه حينئذ يعد ناقضا لتوبته بسبب معاودته ذلك الذنب مرة أخرى .

وهنا يطرح سؤال مهم، هل التائب الذي يعود إلى الذنب مرة أخرى يعود عليه إثم ذلك الذنب الذي تاب منه أول مرة ؟

وللإجابة عليه ، الصحيح أنه لا يعود إليه إثم الذنب الذي تاب منه بنقض التوبة لأنه قد ارتفع بالتوبة وصار بمنزلة من لم يعمله وكأنه لم يكن فلا يعود إليه إثمه بعد ذلك والعائد إثمه عليه هو المستأنف لا الذي مضى وتاب منه ولأن التوبة الأولى حسنةً ومعاودة الذنب سيئة فلا تبطل معاودة الذنب هذه الحسنة كما لا تبطل السيئة الأخيرة ما قارنها من الحسنات .

ومن الأسباب الصارفة عن التوبة :-

إن النفس البشرية تفزع إلى اللذات والشهوات الجسمية والمعاصي وهي ولا شك تضعف القلب عن إرادة الخير وبالتالي تقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئا فشيئا حتى تنسلخ منه بالكلية ، فالمعاصي تزرع أمثالها من المعاصي ويولد بعضها بعضا فإذا هممت بالمعصية تجد قلبك يبحث عن لذة أخرى ومعصية

أخرى حتى يشرب المعاصي و لا يرتاح إلا عندما يفعلها و عندها تكون الطامة الكبرى فيشربها القلب وتطبع عليه المعصية ولا يستطيع أن يفارقها ويعتاد الحصول على هذه اللّذة .

- وما ذاك إلاّ لعدة أسباب منها :-

أولا: اعتماد العبد على سعة رحمة ربه جل وعلا وكرمه وعفوه:

حتى أن بعض المذنبين من الناس إن كلمته ناصحا إياه بالبعد عن الآثام رد عليك بأن رحمة الله واسعة ومغفرته تسع كل الذنوب ونسى هذا المسكين أنه لابد من أن يبدأ هو بطلب العفو والصفح من الله جل وعلا ثم بعد ذلك يأتي العفو والصفح والمغفرة ونسى هذا المسكين أن الله كما أنه غفور رحيم هو أيضا شديد العقاب لا يرد بأسه عن القوم المجرمين وعن الضالين وعن المكابرين ومن اعتمد على العفو فقط مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند المكابر الذي يصر على الذنوب علما بأن الإصرار على الذنب كَبيرة من الكبائر وهذا ما قاله العلماء فهذه الصغائر تصغر في عينه حتى تصبح مثل الجبال فلا يستطيع أن يتركها .

ثانيا : أن الشهوة لذة ناجزه :-

وهذه الشهوة تنتهي بانتهاء اللذة ويبقى الحرمان والبغض والحزن على ما اقترف من المعاصي موجوداً في القلب و النزوع عن هذه اللّذة العاجلة لخوف فوات الأجل شديدة على النفس وتذكر الموت وسرعة لقاء الله جل وعلا من أهم هذه العوامل التي تؤدي إلى البعد عن المعاصي مصداقاً لقول الرسول - ﷺ -"من خاف أدلج ومن أدلج وصل" أي يصل إلى مراده وهو الجنة ورضا الرحمن جل وعلا لأن من جعل خوفه من الله وَعَلِمَ أنه لابد أن يلاقيه فيحرص على رضاه وعدم غضبه كي لا

يكون لقائه بربه صعباً عليه ولكي يحل عليه رضا الله فلا يغضب عليه أبدا ويحرص على حسن الخاتمة وألا يموت على معصية الله -عز وجل- وأن يكون آخر عهده بالدنيا على طاعة الله عز وجل لقول الرسول- ﷺ - " يبعث المرء على ما مات عليه ".

ثالثا : التسويف والاغترار بالأماني :-

فهو يقول سوف أتوب ويؤخر في التوبة حتى يأتيه الموت فجاءه فلا يستطيع تحصيل التوبة فيموت على المعاصي والأماني الزائفة وعندها يندم أشد الندم على ما فرط في جَنْب الله جل وعلا وعلى ما فرط في جواره الآمن و على ما فرط في البعد عنه بلذةٍ منتهيةٍ الخسران واستحقاق الدخول في النيران قال تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٨]

وقد سبق شرح هذه الآية في الفصل الأول فاحذر من التسويف ففيه الهلاك قال رسول الله - ﷺ - "هلك المسوفون ، قيل وما المسوفون يا رسول الله ؟قال هذا رجل يقول سوف أتوب ويؤخرها حتى يأتيه الموت فجأة" فأحذر من الموت على معصيةٍ لأنك ستُبْعث بين يدي الرحمن على المعصية التي كنت تفعلها في الدنيا .

رابعا : الحرص على جمع المال : -

وَصَرْف الجُهد لتحصيله وتركيز الفكر حوله وانشغال القلب بموارد المال ومصادره ونحن لا نقول لك لا تعمل ولكن لا يكون كل همك في الدنيا جمع المال

فنحن نريد المال في يديك ونريدك أن تعمل وتجد ولكن لا تجعل المال في قلبك تتعلق به فكان السلف الصالح منهم من يعمل في التجارة ومنهم من عنده من المال الكثير لكنه كان في أيديهم ولم تتعلق به قلوبهم فهذا السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يملكون من المال الكثير لكنه كان لا يشغلهم عن عبادة الله جل وعلا٦ ويتسابقون في الخيرات ففي يوم دعا النبي - ﷺ - الصحابة إلى الصدقة فقال عمر بن الخطاب اليوم أسبق أبو بكر إن سابقته يوما - وكأن الأمر فيه شك - فجاء عمر بشطر ماله ووضعه بين يدي رسول الله - ﷺ - فقال له رسول الله - ﷺ - ماذا تركت لأهلك قال عمر تركت لهم مثله وجلس ينتظر ما سيفعل أبو بكر فجاء أبو بكر ووضع ماله كله بين يدي الرسول الكريم فقال له الرسول - ﷺ - ماذا تركت لأهلك قال أبو بكر تركت لهم الله ورسوله - ﷺ - ، وهذا عثمان بن عفان يجهز جيشاً بأكمله " جيش العسرة " ويشتري بئراً من الماء ويهبه لله ليحمي المسلمين من جشع اليهودي مالك البئر فهم جعلوا المال في أيديهم ولم يجعلوه في قلوبهم وطلبوا الجنان وبذلوا لها الغالي والنفيس ولم يتعلقوا بالمال ولم يشغلهم عن الآخرة التي هي هدفهم الأصلي أما نحن فجعلنا المال في قلوبنا إلاّ من رحم ربي فأخذنا عن الله وعن الطريق المستقيم فأصبحت شهوة جمع المال طاغية علينا مما قد يؤدي إلى الغفلة عن المصير المحتوم ونسيان الاستعداد لما بعد الموت التي هي الأساس الذي يجب أن نعيش من أجله فلا تنظر إلى الدنيا وزينتها وأنظر إلى رضا ربك وأعلم أن رزقك لن يخلفك فلا بد أن تطمئن و لا تجمع من الدنيا إلاّ الخير والعمل الصالح فإن المال يُجْمَع للنفاد .

آه يــا عبــد كــم يــراك الله عاصــيا

حريصا على الذنب وللمــوت ناســيا

أنســيت لقــاء الله واللَّحــد والثــرى

ويوما عبوسا تَشِــيب فيــه النواصِــيً

فلو أن المرء لم يلــبس ثيــاب التُقــى

تَجَــرد عريانــا و لــو كــان كاســيا

خامسا : الغفلة والجهل :-

اللَّذان يدفعان العبد على الفرح بشهوة محرمة وهذا الفرح دليل على شدة الرغبة فيها فكلما زادت رغبته في الذنب كلما كان فرحه به فيصر على الذنب ويداوم عليه بل ويصر عليه ليحصل على لذة مؤقتة تزول بزوال هذه الشهوة وكذلك الجهل بمن يعصاه فهو يعلم أن له رب يعبده لكن لا يعلم عن صفاته شيئا فيغفل عن المطلوب منه ويقع في المحظورات وهو لا يعلم فلا بد للعبد أن يتعلم تعاليم ربه ويعرف من هو ربه ويعرف صفاته وأسمائه العُلا والجهل بسوء عاقبتها يجعله يقع في هذه الذنوب دون علمه بعظم خطرها فلو علم خطرها وما ينتظره من عقاب ما فعله وخاف من عواقب هذه الذنوب والمعاصي فلا يعذر بجهله لأنه لم يطلب العلم ولم يتعلم ليحمي نفسه وليعرف من يعبد وهي من أهم الطرق لعبادة الله- عزوجل- فلا يعقل أن تحب من لا تعرفه ولا تعرف عن صفاته شيئا .

سادسا : إستصغار الذنب :-

فيقول عندما يفعل ذنب وتقول له لما فعلت هذا الذنب يقول لك هذه صغيرة وسوف يغفرها لي ربي **قال تعالى**:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥]

وكأنه ضمن وأمن مكر الله جل وعلا وهذه هي المصيبة فتتجمع هذه الذنوب الصغيرة على قلبه حتى تهلكه ويظل يفعل في الصغائر حتى تهون عليه المعاصي ويعتادها ويقع في الكبائر وتهون الكبائر والصغائر في عينه حتى تُهْلكه مما يسبب عدم الخوف من الله **قال تعالى**:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر:٦٧]

فهو لا يعرف قدر من يعصيه فهو لا يعرف عنه غير أنه رؤوف رحيم ونسي أنه ذو عذاب أليم ونسي أنه جبار متكبر قوي يحمل الأرضين على إصبع والسموات السبع على إصبع ويحمل العرش على إصبع علم مدى قوته يعذب كل من تكبر عليه فالمؤمن يرى ذنوبه كبيرة لا يقدر على حملها والعاصي يراها هينة ولا يعبأ بها ويقول هذه صغيرة وسوف يغفرها لي ربي كما يقول الشاعر:

لا تحقرن من الذنوب كبيرها

وصغيرها فإن الجبال من الثرى

فالله يغضب من العاصي حتى وإن صغرت معاصيه فهو يحاسبه على معاصيه الصغيرة والكبيرة **قال تعالى** "﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدّثر:٣٨]

و يعاقب عليها الأمم إذا ما ظهر فيها الفساد وكثر فيها الخبث **قال تعالى**:

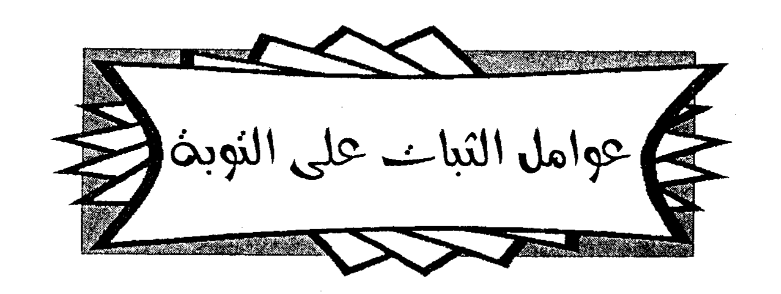
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

[هود:١٠٢]

وما قوم عاد ببعيد وما قوم ثمود منهم ببعيد فهم أهلك الأمم كلها لما تجبروا على الله وعتوا في الفساد وظاهروا الله بالعداء أهلكهم الله ليكونوا عبرةً لمن بعدهم ويكونوا عبرةً للناس والأمم التي بعدها .

الفصل الخامس





• عوامل الثبات على التوبة:-

واعلم أن للتوبة عوامل تساعدها وتقويها وتشد من أزر العبد على السير في الطريق إلى الله عز وجل منها:

أولا : إخلاص التوبة لله عز وجل :-

وتعني عودة العبد إلى ربه وحده وعدم الرياء والسمعة ورجاء الثواب من الله ويخشى عقابه ويطمع في رضاه .

قال تعالى :

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيّنة:٥]

وهو أمر جامع لكل المسلمين آلا وهو التوجه لله عز وجل بالعبادة له وحده يقول الفضيل بن عياض: أي أخلص العمل أصوبه فهو الغنى عن الشريك سبحانه فهو يقول " أنا أغنى الشركاء عن الشرك".

ويقول الرسول – ﷺ -: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ منكم ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فإخلاص العبد لله في التوبة من أهم أعمال القلب فيجب على المسلم أن يكون مخلصاً لله عزوجل لا يريد بهذا العمل رياءً ولا سمعةً ولا ثناءً للناس ولا لمدحهم.

والنية هي أساس العمل وقاعدته ورأس الأمر وعموده وأصله الذي عليه بني فهي روح العمل والعمل تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها.

ولابد في التوبة من نيةٍ صالحةٍ فلا تصح إذا لم تكن يُقْصَد بها غير وجه الله وبها يبارك الله في هذه التوبة ويضاعف فيها الأجر والثواب قال رسول الله - ﷺ - : " إن الله عزوجل كتب الحسنات والسيئات ثم بَيَّنَ ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة".

ثانيا: التمسك بسنة النبي - ﷺ - :

بل هي من أهم طرق الثبات على التوبة فهي الطريق الوحيد لبلوغ رضا الرب جل وعلا وبلوغ الجنة، فمحمد - ﷺ - هو أعلم الناس بما يُرضي الله عزوجل وبما ينفع الناس في دينهم.

فالسنة هي الطريقة والسنة النبوية : هي كل ما قاله النبي أو فعله أو ما ارتضاه من مظهره الداخلي والخارجي.

قال بن تيمية " السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعةً لله ورسوله سواءً فعله رسول الله - ﷺ -أو فعل في زمانه أو لم يفعله لعدم المقتضى حينئذ لفعله أو وجود المانع منه".

بهذا المعنى تكون السنة " إتباع آثار النبي - ﷺ - باطناً وظاهراً وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار".

حتى قال بعض السلف : إتبع الأثر بحيث لو وضع النبي - ﷺ - قدمه اليمنى فضع قدمك اليمنى ولو وضع قدمه اليسرى فضع قدمك اليسرى وأتبع الأثر فوالله ستجد في آخر الطريق الجنة والحوض .

* وَرُوِىَ عن عبد الله بن العباس أنه كان حريص على السير في كل جوانب المدينة حتى أنه سئل عن ذلك العمل قال لعلى أصيب مكان مشى فيه رسول الله - ﷺ - .

* السنة هي حصن الله الحصين الذي من دَخَلَه كان من الآمنين وهى تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم وهم المبيضة وجوههم يوم القيامة إذا اسودت وجوه أهل البدع والضلال قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٦]

قال بن عباس: "تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة "مصداقا لقول ربنا جل وعلا ":

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٤]

قال بعض أهل التفسير هم أهل البدع والضلال فهم يحسبون أن ما يفعلون تقرباً لله وهم بذلك يحسبون أنهم يحسنون الصنع.

أهل السنة لهم سَمَتٌ ظاهر يعرفه الناس وعلامات تذكر الغافلين وتذكرهم بالله ومن علاماتهم:

وأهم علاماتهم الاعتصام بالكتاب والسنة والعض عليها بالنواجذ والتحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع، حبهم لأهل السنة وبغضهم لأهل البدع لا يستوحشون من قلة السالكين لأن الحق يعرفه أهله ولأن الحق ضالة المؤمن يأخذ به وإن خالفه الناس ومن علاماتهم الصدق في الأقوال والأفعال.

وأعلم أنه سيأتي يوم يعض الظالم على يديه ندماً وحسرةً على ما فرط في السنة وعلى إتباعه للشهوات وسلوكه طريق الشيطان ويشعر بشديد الندم على عدم قراءته للقرآن **قال تعالى**:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]

ثالثاً: التمسك بالجماعة:

فالجماعة في الشريعة تعني سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال عبد الله بن مسعود:" الجماعة هي ما وافق الحق وإن كنت وحدك".

- بمعنى إذا فسدت الناس فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك حينئذ مع الجماعة.

قال رسول الله - ﷺ - " إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فسبعين في النار وواحدة في الجنة وإفترقت النصارى على اثنتي وسبعين فرقة فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة وستفترق أمتي على علي ثلاث وسبعين

فرقة اثنين وسبعين في النار وواحدة في الجنة قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة " . وفي رواية الترمذي قالوا ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي ".

الجماعة هي القدوة الصالحة الذين يهدون إلى الحق ويعملون به فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والبدع هم الغرباء إذا فسد الناس.

قال رسول الله - ﷺ - " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً كما بدأ فَطُوبى للغرباء".

والغرباء هم أهل السنة هم الذين يحملون علم الدين ويبحثون عن الصحيح من الأحاديث ويبتعدون عن البدع خوفا من أن تحبط أعمالهم ويدلون الناس على الطريق القويم ويحزن الناس لفراقهم فكان أبو أيوب السختياني رحمه الله يقول " إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي".

ومن علامات أهل السنة والجماعة :

أولا: الاعتصام بالكتاب والسنة والعض عليها بالنواجذ.

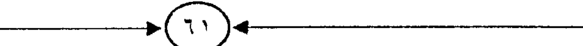
ثانيا: التحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع.

ثالثا: حبهم لأهل السنة والمتمسكين بها.

رابعا: لا يستوحشون من قلة السالكين وقلة الصالحين لأن الحق ضالة المؤمن يأخذ به ولو خالفه الناس.

خامسا: الصدق في القول والعمل.

سادسا: التأسي بالرسول وإتيان كل ما أمر به والبعد عن كل ما نهى عنه.



رابعا: ذكر الله عز وجل فهو من أهم وسائل المساعدة على الثبات على التوبة:

واعلم أن للذكر فضائل كثيرة:

فلو علمت أن الله يذكرك إذا ذكرته سيساعدك ذلك على الإكثار من ذكره:

قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة:١٥٢]

والله سبحانه وتعالى دعا جميع المسلمين إلى الإكثار من ذكره بل وجعلها علامة من علامات الإيمان قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)﴾ [الأحزاب:٤١]

واعلم أن الله أعد للذاكرين والذاكرات العطايا الكثيرة فقد وعدهم بالغفران ومضاعفة الأجر لهم قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ [الأحزاب:٣٥]

بالذكر تكون بعيداً عن الغفلة عن الله:

فبالذكر تبقى متذكراً مستيقظاً يقظاً لا يقدر عليك الشيطان أبدا...

قال تعالى:

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥]

وأعلم أن الفرق بينك وبين الميت هو ذكر الله عز وجل قال رسول الله - ﷺ -: " مثل الذي يذكر ربه و الذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت" فالذكر حياة للقلوب تزداد به حلاوة الحياة وبتركه تموت القلوب فيقل الخوف من علام الغيوب.

الذكر هو أفضل الأعمال:

لا يضاهيها أي شيء حتى إنفاق الذهب والفضة ولا الجهاد في سبيل الله قال رسول الله - ﷺ -: "آلا أُنبئكم بخير أعمالكم و أذكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى، قال " ذكر الله تعالى".

واعلم يامن استوحش من الوحدة بأن الله يكون معك حين تذكره وبذكرك لله تكون من المقربين أي من الذين يتقرب الله إليهم قال رسول الله - ﷺ - "يقول الرب تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني

في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه باعاً و إن أتاني يمشى أتيته مهرولة".

بشرى يا من تضايقت من كثرة شرائع الإسلام عليك فلا تيأس فعندي العلاج الرباني الذي لو فعلته كنت من الأعلى في الدرجات وتغفر جميع الذنوب والزلات وتنال به رضا الرحمن إذا تمسكت به وتوجهت به إلى الله عزوجل راجياً عفوه ورضاه ومغفرة الذنوب معطراً لسانك بذكره : فعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أن رجلا قال يا رسول الله " إن شرائع الإسلام كثرت عَلَيَّ فأخبرني بشيء أتشبث به قال :لا يزال لسانك رطباً بذكر الله".

وبذكرك لله تضاعف لك الحسنات :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول "ألم"حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".

واعلم أن مجالس الذكر تؤدى بصاحبها إلى الدخول في مشيئة الله إن شاء عَذبَهُ وإن شاء غفر له قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" ما جلس قومٌ مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلاّ كان عليهم تره فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم"

وأعلم أنك لو جلست مجلساً لم تذكر الله فيه قط إلاّ كنت مثل جيفة حمار يوم القيامة وكان لك هذا المجلس حسرةً يوم القيامة على ما فرطت في ذكر الله قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عنه مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة "

خامسا:الإكثار من الإستغفار:

- إعلم أن الاستغفار من أهم العوامل المثبتة للتوبة:

فالاستغفار: هو طلب المغفرة من العزيز الغفار واللجوء إليه وحده بهذه العبادة فهذه العبادة لا تكون إلاّ لله عز وجل ومن يغفر الذنوب إلا الله قال تعالى على لسان نوح :

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نوح:١]

وللاستغفار فضائل عظيمة منها:-

- إنه سبب للنماء وسبب لزيادة النسل وزيادة الرزق ونزول المطر: قال تعالى:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح:١٠-١٢]

فهذا والله كرم من الكريم يعطى من استغفره على المعاصي وعاد إليه عطاء الكريم لكن لابد أن تبدأ أنت بالاستغفار لله عز جاهه ثم بعد ذلك تأتي الإجابة من الله ومن إله غيره تتوجه إليه راجياً منه مغفرة الذنوب وبعد ذلك يأتي الفرج والتوسعة في الرزق فيا من تشكو من قلة الرزق استغفر الله يوسع عليك من الرزق كل ما تشتهي ويرضيك حتى تقول رضيت يارب فهو يوسع عليك في كل شيء من الأموال والأولاد والزرع وغيرها بل ويحل عليها البركة.

- إنه سبب من أسباب مغفرة الذنوب:

بل هي السبب الرئيسي للمغفرة فإذا عرفت الطريق المؤدى إلى ذلك فاحرص عليه ويلجأ إليها المخطئ راجياً من الله عز وجل أن يغفر ذنبه ويتغاضى عن الزلات و العثرات آملاً منه أن يغفر وأن يتغاضى عما فعله من سيئات.

وقد دعا رسول الله - ﷺ - المسلمين إلى الإكثار منه حيث قال " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " واعلم أن المغفرة لا تأتي إلا بالصبر على هذه العبادة الجليلة حتى أن الرسول - ﷺ - وهو المعصوم الذي غفر الله له يقوم بفعلها ويصبر على الإتيان بها راجيا من الله العفو والصفح وهو من هو رسول الله - ﷺ - فأصبر على طلب المغفرة بالاستغفار لله الواحد القهار.

- وأعلم أنه ليس هناك سبيلاً آخر للتوبة إلاّ بالاستغفار للعزيز الغفار:

الذي يغفر الذنوب الكثيرة ولكن لابد لك من تقديم طلب إلى صاحب العفو ولا يكون إلاّ بالاستغفار قال رسول الله - ﷺ - " يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " فقدم طلباً الآن بمغفرة الذنوب وأرجو منه أن يقبل وأن يرحم.

- واعلم أنك بترديدك للاستغفار يغفر الله لك كل الذنوب حتى ولو كنت فررت من الزحف:

قال رسول الله - ﷺ - " من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن فر من الزحف" يا ل كَرَمِهِ يغفر الذنوب الكبيرة وهل هناك بعد الشرك بالله من الهروب من مواطن الجهاد وقال تعالى في الحديث

القدسي:" يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي ، يابن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي".

- واعلم أن المسلم يعان على قلبه فلا بد له من عمل يؤدى إلى غفران الذنوب وإحياء هذه القلوب مرة أخرى:

ولهذا قال الرسول - ﷺ - " أنه ليعان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " لأنه إذا ما اعتاد القلب على الذنوب يزان على القلب ويطبع عليه بالمعصية **قال تعالى:**

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطفِّفين: ١٤]

لذلك لابد من شيء يحيى هذه القلوب مرة أخرى فلم يجد الرسول علاجاً للذنوب إلاّ الاستغفار منها عسى الله أن يرحم وعسى الله أن يقبل.

إن الذنوب خطرها كبير على النفس إذا ما اعتادها الفرد فهي تؤدى إلى موت القلب كما قال القائل :

رأيـــت الـــذنوب تميـــت القلـــوب

وقـــد يـــورث الـــذل إدمانهـــا

وتـــرك الـــذنوب حيـــاة القلـــوب

وخيـــــر لنفســـــك عصـــــيانها

- والله عز وجل حين أمرك بالاستغفار له والتوجه إليه بطلب المغفرة يجب أن تعلم أن الله هو الغنى عن كل ما تفعله من أجل التقرب إليه:

كما قال في الحديث القدسي " يا بن آدم لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك من ملكي شيئا ،يا بن آدم لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما قل ذلك من ملكي شيئا " فالله هو الغني عن كل الخلق ولكنه دعاك أنت إلى طلب المغفرة منه لتعرف الطريق الصحيح لمغفرة الذنوب ألا وهو التوجه إلى الله عزوجل والتذلل له لمغفرة الذنوب قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾

[آل عمران:١٣٥]

مع عدم الإصرار على الذنوب ،لأن الإصرار على الذنب يجعل الفرد يستصغر الذنب ويسهل عليه فإن المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل هاوي يخشى أن يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه مثل ذبابة وقعت على أنفه فحرك إليها يده لتطير.

وأعلم أن للاستغفار فضيلة يرجوها كل مسلم ألا وهى دخول الجنة:

قال رسول الله - ﷺ - " سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ،خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء بذنبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، قال : ومن قالها من النهار

موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة" فيا من يريد الجنة قم بترديد هذا الحديث وتداوم عليه لتنول به الرضوان ودخول الجنان والبعد عن النيران ورؤية الرحمن آلا يكفيك أن تتوجه إليه معلنا توحيدك له وطالباً منه العفو والمغفرة لكل الذنوب وطالباً منه أن يقبل وأن يعفو وأن يصفح ومن يغفر الذنوب إلا الله فهو أحق من عبد واعظم من ابتغى إليه مالنا ومصيرنا وإليه يرجع الأمر كله عاجله و آجله وفي يده المقادير فنسأله أن يغفر لنا ويستر عيوبنا.

*** وأعلم أن الاستغفار من الذنوب يكون في كل وقت لكن هناك أوقات محببة إلى الله عز وجل يجب أن تستغل لطلب المغفرة:**

ومن هذه الأوقات الثلث الأخير من الليل:

قال رسول الله - ﷺ - "أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن".

وقال تعالى مادحاً فعلهم من استغفارهم ربهم بالليل وجميع الكون نيام إلاّ هم فَارَقَتْهُم ذنوبهم فلم يستطيعوا النوم وقاموا يستغفرون ربهم على ذنوبهم فالعاقل يعلم ثقل هذه الذنوب فقام بالليل يدعو الله عز وجل ليغفر له ويخفف عنه تلك الذنوب والاستغفار أفضل الذكر لله الواحد القهار لأنه اعتراف من العبد بالتقصير والبعد عن الله فيطلب منه عز وجل الصفح والغفران على ما قدم من ذنوب وعلم أن هذا الوقت محبب لله عز وجل فقام من نومه راجياً عوف ربه على ما اقترف من الذنوب لعله يصيب الرضا من الرحمن قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٦-١٧]

- ومن الأوقات المحببة إليه عز وجل أيضا ساعة السجود في الصلاة :

قال رسول الله - ﷺ - " اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" والاستغفار من الدعاء لأنه طلباً للمغفرة من الله عز وجل فكل ما عليك هو الاستغفار للعزيز الغفار وبعد ذلك يأتي الإجابة على استغفارك إياه فيخفف عنك حدة هذه الذنوب لكن لابد أن تتقرب إليه بما يحب من الأفعال وأقرب شيء وأحب شيء إلى ربنا هو سجود العبد له معلنا توحيده لله عز وجل.

- ومن الأوقات المحببة إليه أيضا الاستغفار بعد وقوع الذنب مباشرة:

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

[آل عمران:١٣٥]

نجد أن الله في هذه الآية امتدح فعلهم من خوفهم من الله إذا ما فعلوا ذنب أو ظلموا أنفسهم بالوقوع في كبيرة ذكروا الله فلجئوا إليه راجين منه أن يعفو وعلموا أنه ليس هناك آخر يغفر ويعفو ويصفح فلجأوا إليه وأنظر إلى حرف الفاء في كلمة فاستغفروا لذنوبهم والفاء هنا تفيد السرعة أي أنهم رجعوا إلى الله وتذكروه بسرعة

فندموا على ما اقترفوا من الذنوب و المعاصي فطلبوا منه العفو والمغفرة وعلموا أن لهم ربا يغفر الذنوب فتوجهوا إليه وحده راجين عفوه وصفحه عن زلاتهم.

سادسا: طرق أبواب السماء "الدعاء":

من أهم العوامل المساعدة على التوبة هو طلب الثبات من الله عزوجل لأن الله سبحانه وتعالى هو القادر على تثبيت القلوب على التوبة كما قال رسولنا - ﷺ - " إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء".

- واعلم أن الله هو الذي دعاك إلى دعائه ووعدك بالإجابة **قال تعالى:**

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]

فهو الذي دعا جميع الناس إلى دعائه ووعدهم بسرعة الاستجابة لهم.

- واعلم أن الله هو الغني عن كل الناس لكنه دعاهم إلى دعائه كي يَمَنّ عليهم من فضله: كما قال في الحديث القدسي " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضالاً إلاّ هَدَيْتهُ فأستهدوني أهديكم، يا عبادي كلكم جائع إلاّ من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلاّ من كسوته فاستكسوني أكسوكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وَجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك من ملكي شيئا،

ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألني كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد شراً فلا يلومن إلاّ نفسه".

- واعلم أن من اعتمد على الناس في قضاء حوائجه لم تقضَ حوائجه وزادت عليه مطالب الدنيا أما من توكل على الله فقد توكل على كريم وقضيت حوائجه وخففها الله عنه: قال رسول الله - ﷺ - "من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل"

واعلم أنك تقصد كريم وليس شيئاً أكرم على الله من أن يقصده أحدكم بالدعاء: قال رسول الله - ﷺ - "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء".

واعلم أن قضاء الله لابد أن يتحقق ولا يرده شيئا إلاّ الدعاء: قال رسول الله - ﷺ - " لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزد في العمر إلاّ البر".

واعلم أن للرحمة أبواباً ومن أبوابها الدعاء: قال رسول الله - ﷺ - " من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سأل الله شيئاً يعني أحب إليه من أن يسأل العافية".

واعلم أن الدعاء لابد نافعك : قال رسول الله - ﷺ - " إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء".

واعلم أن الله لا يُبالي بمغفرة ذنوب الناس لكن عليك أولاً عليك أن تلجأ إليه بالدعاء طالباً مغفرة الذنوب: قال رسول الله - ﷺ - " قال الرب تبارك وتعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرني غفرت لك ولا أبالي يا بن آدم إنك لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بترابها مغفرة".

واعلم أنك تقصد بدعائك كريم يستحي من العبد إذا رفع يديه إليه قاصداً وجهه أن يردهما فارغتين: قال رسول الله - ﷺ - " إن الله حي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه لن يردهما صفرا خائبين" فأنظر إلى كرم الكريم وكيف أنه يستحي من دعاء عبده إليه أن يرده خائبا من غير أن يجيب دعائه فخذها فرصة وهب إلى دعائه وأطلب منه المغفرة وأطلب منه العفو والصفح ولا تتردد في الدعاء وأيقن بالإجابة من الله جل وعلا فالدعاء على ثلاثة مراحل من الإجابة كما قال رسول الله - ﷺ - " ما من رجل يدعو الله بدعاء إلاّ استجاب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يُكَفْر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يَدْعِ بإثم أو بقطيعة رحم أو يستعجل".

وكن عند حسن ظن الله بك وقم بدعائه عسى أن يقبل وعسى أن يرحم فإنك تقصد كريم رحيم مجيب للدعاء يرحم من يدعوه ويثق به ويتوكل عليه ويدعوه ويحسن الظن به ويوقن بالإجابة ويمتنع عن دعاء غيره ويعلم أن التوكل على غير الله غير ممكن وأن الإجابة للدعاء موقوفة على التوجه بها لله عز وجل قال رسول الله - ﷺ - " إن الله يقول أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني".

*لكن اعلم أن للدعاء شروط لابد من توافرها عند الدعاء:

أولا:الإخلاص :

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾ [لقمان:٣٢]

ثانيا:إطابة الأكل:

قال رسول الله - ﷺ - " أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين **فقال:**

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) ﴾

[المؤمنون:٥١]

وقال أيضا :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ﴾ [البقرة:١٧٥]

ثم ذكَرَ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب ، يارب ومطعمه حرام ومشربه حرامَ وغذى بالحرام فأنى يستجاب له".

ثالثا: حضور القلب:

قال رسول الله - ﷺ - " القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فأسالوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل" فاحذر من الغفلة وكن ممن يدعو فيعي ما يقول بقلب يقظان على يقين من الإجابة فربه وعده بإجابة دعائه فكل ما عليه أن يرفع أكفه إلى السماء سائلاً الله عز وجل من كل خير وبعد ينتظر الإجابة لوعد ربه جل وعلا له بالإجابة.

رابعا: الدعاء بالخير وعدم الإستعجال:

قال رسول الله ﷺ" يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي" وقال أيضا "ما من أحد يدعو بدعاء إلا أتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" فيا عبد أكثر من دعاء ربك بالخير ولا تعْجَل في استجابة الدعاء فالله تعالى مجيب للدعاء فهو الكريم الذي يوسع في العطايا فهو يَمُنّ على عبده لكن يكره تعجل الطلب وادعوه وأنت موقن بالإجابة.

وهناك أوقات يستحب لك فيها الدعاء:

يوم الجمعة: قال رسول الله - ﷺ - " فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئاً إلاّ أعطاه" فالله جل وعلا يفتح أبواب القبول في هذا الوقت من يوم الجمعة فلا تغفل عنه وكن على يقين من إجابة الدعاء في ذلك الوقت.

وقال العلماء هي برهة صغيرة من الوقت ورجحوا أنها من بعد صلاة العصر وحتى غروب الشمس وكلمة ساعة ليست ساعة بالمعنى المتداول بيننا ولكن يراد بها القليل من الوقت.

في الثلث الأخير من الليل: قال رسول الله -ﷺ- " إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا و الآخرة إلا أعطاه وذلك في كل ليلة".

وقال ﷺ أيضا :" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له"

وهذه من الفرص العظيمة التي يجب أن يستغلها الإنسان ويحسن الدعاء فيها فيطلب من ربه كل خير له ولأمته في هذه وهو على يقين من الإجابة فلا بد من تحمل المشقات للحصول على المراد حتى تتمكن من الحصول على ما تريد فالله عز وجل يوزع عطاياه في هذه الأوقات لمن يريد الحصول عليها ففي بعض الأثر "للحصول على العسل لابد من تحمل أذى النحل".

الدعاء في ليلة القدر :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة، ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال " قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فأعف عني "وهي ليلة تنزل فيها البركات وتكثر فيها العطايا من العزيز الغفار وتفتح فيها أبواب الرحمات ويحل الرضا من الرحمن فلا بد من استغلالها على الوجه الأمثل

من قيام اللَّيل ودعاءً واستغفارًا للعزيز الغفار لكي يرضى الرب ويحل الصفح والغفران فربنا تباركت أسماؤه يعطي عطايا كثيرة في هذه الليلة.

بين الأذان والإقامة:

قال رسول الله - ﷺ - "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة " فهذه بشرى من الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى بأن الله عز وجل لا يرد دعاء رجل دعا بخير في هذا الوقت الثمين الذي يغفل عنه كثير من المسلمين فهيا أيها المصلي لحْ في الدعاء ولا تيأس منه وكن على يقين من إجابة الدعاء في هذه الأوقات الثمينة وكن ممن يستغل الفرص فالله هو الذي دعاك إلى دعائه في هذه الأوقات الثمينة ووعدك بالإجابة فلا تيأس من الدعاء وكن ممن يستغل هذه الفرص التي تكون سبباً في إجابة الدعوات.

★ويستحب بل ويرغب في دعاء الصالحين الأحياء:

فعن أبى نضرة عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر : هل هاهنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد قال : "إن رجلا يأتيكم من أهل اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم"

قال النووى: وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم.



وورد أنه حدثت في عهد عمر بن الخطاب أن قل المطر ومات الزرع فوقف الصحابة عند عمر بن الخطاب فقال عمر اللهم إنا كنا نستسقيك برسول الله وقد مات رسول الله واليوم نحن نستسقيك بعم رسول الله وقدم العباس عم رسول الله ونزل المطر.

وفي هذا الأثر نجد أن طلب الدعاء من الأموات وإن كان رسول الله - ﷺ - لا يجوز ولا ينفع فهم أحوج منا إلى الدعاء لهم فهم قطعت أعمالهم ووقفت أما الأحياء فإنه يجوز طلب الدعاء ممن نظن أنهم أهل للصلاح والفضل مثلما فعل عمر بن الخطاب مع عم الرسول فقدمه للدعاء لهم ونزل المطر ولم يستعن في دعائه برسول الله بعد موته لأنه بموت رسول الله قطع عمله إلاَّ من ثلاث ولد صالح أو علم ينتفع به أو صدقة جارية مع أننا نؤمن أن رسول الله هو أعظم البشر كلهم.

- فلا يجوز الذهاب إلى ولي أو نبي أو أي أحد من الصالحين من أجل طلب المغفرة والصفح والعفو ولا يجوز أن أجعلهم واسطة بينه وبين الله فهم في أشد الحاجة إلى الدعاء لهم منا وليس الدعاء لنا فالدعاء هو عبادة ولا يجوز إشراك أحد في العبادة مع الله عز وجل وإنما أجاز العلماء أن نجعل الصالح الحي يدعوا لنا لوجد النصوص الدالة على ذلك وهذا ما عرضناه في الحديثين السابقين لعمر بن الخطاب.

فإياك إياك أن تستعين بميت في قضاء حاجتك فإن الميت لا يضر ولا ينفع و الجأ إلى الله بدعائك لأنه القادر على إجابة الدعاء وحده ولا تشرك غيره في عبادة ارتضاها لنفسه سبحانه نزيه عن الشريك نزيه عن الند لا يضاهيه أحد .

سابعا: العلم بالله :

من عرف الله خاف أن يعصيه ومن عرفه متصفاً بصفات الكمال رجا منه العفو والصفح والمغفرة.

الله سبحانه اتصف بصفات الكمال منزهةً من صفات النقص وأعلم أن ذات الله لا تشبه أي ذات من ذوات المخلوقين فالله هو الكمال الذي لا كمال بعده **قال تعالى:**

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

من علم الله متصفا بالرحمة طلب منه الرحمة وعرف أنه وحده القادر على أن يرحم ازداد له حبا وشوقاً إلى الدخول في رحمته فهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

ومن علم الله متصفا بالقوة و الانتقام زاد في نفسهِ خوفاً ورهبةً وإجلالاً وتقديراً واحتراماً.

من علم أن الله هو المقدر لهذا الكون زاد له إجلالاً و احتراماً وتوكلاً عليه ورضي بقضائه لعلمه أنه المقدر لهذا الكون وأحس بالأمان لأنه وضع تقدير الكون في يدي الخالق البارئ المقدر المقتدر **قال تعالى** :

﴿۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

[السجدة:١١]

من علم الله خالقا أبدع وصور هذا الكون أحس بأنه يعبد قادر مبدع وزاد حبا له وتعظيما له وأحس بجلال من يعبده فإن النفس تميل إلى ذو الذوق الجميل المرهف ومن أحسن ذوقا من الله عزوجل أبدع وصور من غير أن يساعده أحد من البشر فهو القدير المبدع المصور الخالق البارئ.

من علم أن الله يمكر بمن عصاه خاف من مكره عزوجل به وهي من الصفات التي امتدح الله فيها المؤمنون من أنهم يخافون من مكر الله عزوجل **قال تعالى**:

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾ [المعارج:٢٧-٢٨]

- من علم أن الله سبحانه وتعالى متصفا بصفة العلم وَعَلِم أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور خاف أن يعصاه مخافة علمه بمعصيته **قال تعالى**:

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)﴾ [الشعراء:٢٢٠]

أي أنه يسمع ويرى كل شيء وأن الله يعلم ما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

- من علم أن الله حي لا يموت عرف أنه بحق الباقي الذي لا يزول وعبده وتوجه إليه بالذل والخضوع لرقبته يعبده لا يشرك به شيئاً فهو الحي وكل الناس تموت **قال تعالى**:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)﴾ [آل عمران:٢]

- من عرف الله متصفاً بالسمع والبصر إستحى من أن يراه أو يسمعه وهو على معصيةٍ ، وأعلم إن سمع الله ليس كسمع الناس كما بينت عائشة رضي الله

عنها سعة سمع الله حيث قالت" الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات" أي وسع سمعه كل الأصوات لو اجتمعت في آن واحد.

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك:١٩]

وهذه الآية فيها دليل على سعة بصر الله حيث أنه يرى كل الطير ويمسكها عند طيرانها في السماء.

- وأعلم أنه لابد من الإيمان بالله ويقتضي الإيمان بأسمائه وصفاته وهذه تكون على ثلاثة أسس:-

الأول: تنزيهه عن أن يشبهه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين **قال تعالى :**

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم به منه **قال تعالى :**

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة:١٤٠]

الثالث: الإيمان بما وصفه به رسوله - ﷺ - لأنه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله - ﷺ - الذي قال الله في حقه:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤]

واعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي عرفنا بنفسه وبدون ذلك سيبقى الإيمان بالله فكرة غامضة لا تعطى ثمارها الطيبة.

فمن عرف الله معرفة قوية زاد بالله حباً وعلماً وخوفاً ومن عَلِمَ أن لله صفات عظيمة كثر تمجيده له وثناءه عليه.

ومن عرف أن أحب الأشياء إلى الله أسماؤه دعاه بها كما **قال تعالى**:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠]

فالله تعالى دعاك إلى دعائه وهو أعلم بما ينفعك فالزم في دعائك لله دعائه بما يحب وادعوه بأسمائه عسى أن يرحم فإذا دعوته بأسمائه استحى أن يرد دعائك.

من عَلِمَ عن الله وعن صفاته وكماله زاد تعلقا به فالذي يعلم أن الرزق بيد الله لا يطلب الرزق من أحد غير الله والذي يعلم أن الله هو الجبار المنتقم المتكبر خاف من عقابه ومن غضبه والذي يعلم أن الله هو الغفور الرحيم الودود زاد حبا به وتعلقا به وعرف الطريق لطلب المغفرة **قال تعالى**:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٥]

والرحمة والود والأنس به فهو الخليل ونعمت به من صحبة.

واعْلَم أن علمك بالله خير حصن لك فهو الحصن الحصين من الشيطان الرجيم وهو الذي يحميك فإذا ذكرته خاف الشيطان وفر هارباً.

وبعلمك بالله تعلم ما يحبه وما يكرهه وتبعد نفسك عن كل ما يكرهه وتفعل ما يحبه وتتقرب له بكل ما يحبه ورضي عنه وأمر به.

من علم أن الله مدبر لهذا الكون عرف أنه يعبد عاقل يتحكم في الكون بحكمة وزاد فيه حُبّاً وجلالاً ووقاراً أن النفس تأنس للعاقل المدبر بحكمة ومن نظر في السماء وكيف أحكم الله خلقها فترى الكوكب في السماء يسير في مجاله لا يخرج عنه ولا يصطدم بغيره عرف مدى دقة الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه ومن يرى كيف سوى الله الإنسان وكيف صوره في أحسن صورة عرف أن الله أختاره بحكمةٍ ليقود هذا الكون لما يريده الله عز وجل **قال تعالى** :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]

ومن عَلِمَ أن الله وضع نظاماً دقيقاً لهذا الكون زاد به تعلقا لأن النفس تألف النظام **قال تعالى**:



﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن:٥]

أي أنه وضع نظامها بدقة متناهية فلا يسبق القمر الشمس ولا يأتي الليل قبل النهار **قال تعالى**:

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠]

فسبحان منظم هذا الكون تنظيما دقيقا لا يعدله تنظيم أي مخلوق آخر فهو مقدر المقادير سبحانه لا شريك له.

ومن علم أن الله هو الواحد الفرد الصمد توجه إليه وحده بالعبادة وعلم أنه الغنى عن الشريك وعن الند وعن الواسطة ونقى نفسه من براثن الشرك التي تؤدى به إلى الهلاك ودخول النار **قال تعالى**:

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص١ :٤]

من علم أن الله يمسك الأرضيين على إصبع والسماء على إصبع والعرش على إصبع علم أن قوة الله ليس لها حدود وزاد خوفاً من بطشه وزاد تعلقاً به لأن النفس تركن وتميل إلى القوى الذي تهابه القلوب ومن يهابه الخلق أكثر من الله جل وعلا تباركت أسماؤه وعظم جاهه القوى المتين الذي خضعت لعظمته الجباه فهو الحق الوحيد في هذه الدنيا وكل ما يدعون من دونه لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم.

من زاد علمه بالله زاد إيمانا به وشعوراً بالقوة والثبات لأن العبد لا يركن إلا إلى القوى القادر الغالب.

ثامنا: التوكل على الله :

اعلم أن الله جل وعلا هو الذي دعاك إلى التوكل عليه في كل شيء فهو بيده مقادير كل شيء سبحانه وتعالى القادر على كل شيء **قال تعالى**:

﴿...وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣]

بل وجعل من يتوكل على الله فهو حسبه

وإعلم أن الله تعالى هو خير من تتوكل عليه فهو وكيلك ومعينك على قضاء كل حوائجك دون الحاجة إلى أي شخص آخر من البشر فهو غني عن كل الناس قال تعالى مناديا عباده إلى ضرورة التوكل على الله جل وعلا:

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٣]

أي هو كافيه ومعينه على قضاء هذه الحوائج فمن غيره قادراً على إعانتك من غير الله تبارك وتعالى.

وأعلم أنه إذا مر بك خطب أو أردت أن تفعل شيئا فكل ما عليك هو التوكل على الله تعالى من أجل تحقيق ذلك الغرض **قال تعالى**:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩]

فالتوكل على الله لابد أن يكون عند الشروع في فعل أي شيء.

وأعلم إن من علا مات حب الله لك كثرة توكلك على الله جل وعلا فبكثرة توكلك على الله يحبك الله جل وعلا **قال تعالى**:

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩]

فأبشر يا من تتوكل على الله بحب الله لك وكيف لا يحب المتوكلين وهم آمنوا بأنه ليست في الدنيا أي شيء إلاّ بمشيئته فتوكلوا عليه فأحبهم وكفاهم عن سؤال غيره من الناس.

وأعلم انه إذا تحزب الناس ضدك وحذرك بعض الناس منهم مع أنهم على الباطل والضلال اعلم أنك بتوكلك على الله يكفيكم ويبعدك عن أذاهم ويعصمك من شرهم وذلك بتوكلك عليه جل وعلا **قال تعالى**:

" ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣]

فوالله نعم الوكيل ونعم الحافظ ونعم الناصر وأبشر فالله هو الذي يتولى الدفاع عنك فهو كافيك وحسبك الله فالله هو القوي هو القادر هو القاهر.

واعلم أنها من علامات الإيمان التي امتدح بها الله عباده المؤمنين الموحدين له السائرين على طريقه المستقيم **قال تعالى**:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢]

فمن علامات إيمانهم أنهم إذا ذكر الله وجلت القلوب وخافت من الجبار وعندما تُتلى عليهم آياته زادتهم إيمانا وتصديقاً لكلام ربهم الذي بلغ به الصادق

الذي لا ينطق عن الهوى وأن من علامات إيمانهم بالله أيضا توكلهم على الله فهم علموا أن لهم ربا كافيهم عن غيرهم فآمنوا به وتركوا كل الناس وتوجهوا إليه بالتوحيد الخالص حتى في قضاء حوائجهم ومن يقضي الحوائج إلا الله.

واعلم أن هناك أناس سيدخلون الجنة بغير حساب هم سبعون ألفا وقد حدد النبي - ﷺ - شروط من يريد الدخول معهم فقال - ﷺ - " هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون" فبتوكلك على الله قد حققت شرط من شروط دخول الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب وذلك بحسن التوكل عليه والاعتصام به فهو خير من تتوكل عليه وخير من تعتصم به دلوني على رجل توكل على الله في أي شيء و خذله و دلوني على رجل اعتصم بالله فتخلى عنه فيا من يأس من النصير بتوكلك على الله ينصرك ويا من يأس من المعين فبتوكلك على الله يعينك وباعتصامك بالله حق العصمة يعصمك من الناس **قال تعالى** لرسوله - ﷺ - في كتابه العزيز:

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧]

عندما توكل عليه وصدع لأمر ربه جل وعلا وبدأ في دعوة الناس لعبادة رب الناس.

واعلم أن التوكل هو الاستعانة ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ولو بعد حين فإن كان مرضيا نال الرضا وأن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضر وغير نافع قال رسول الله - ﷺ - " لو أنكم تتوكلون على

الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا" فبتوكلك على الله في العمل وعلمك بأنه هو الرازق الوهاب مع أخذك بأسباب الرزق من توكلك على الله وخروجك للعمل فورد عن عمر بن الخطاب "أنه دخل مسجد النبي فوجد أناسا يجلسون يذكرون الله ويقرأون القرآن ولا يعملون فقال لهم عمر من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون فقال لهم بل أنتم المتواكلون قوموا وأعملوا ولا تجلسوا إن السماء لا تمطر ذهبا وفضة" فلا بد من التوكل على الله جل وعلا مع الأخذ بأسباب الرزق من الجد وبذل الجهد للحصول عليه وعندها يأتي الرزق فالله تعالى هو الذي وعدك بذلك فكل ما عليك هو الأخذ بأسباب الرزق وعندها يكون الفتح في الرزق والتوسعة في كل شيء **قال تعالى**:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

والرسول دعا جميع المسلمين والمؤمنين لكي يتوكلوا على الله في كل أمور الحياة ويدعوه بأن يرزقهم التوكل عليه فمن غيره قادر على النفع والضر لكن عليك حُسْن التوكل عليه فلا تتواكل وكن ممن يأخذ بالأسباب في توكله على الله جل وعلا.

- فمن الأدعية التي وردت عن الرسول في طلب التوكل من الله كثيرة منها:

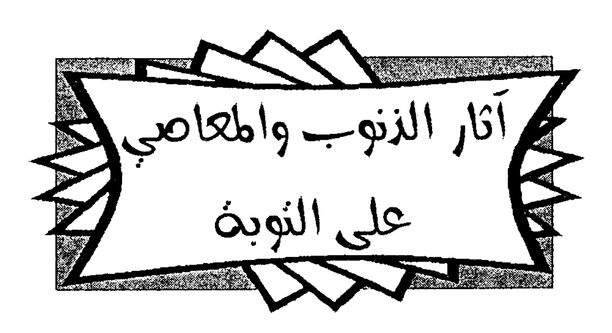
"اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت" ومنها أيضا دعاء الخروج من المنزل" بسم الله توكلت على الله يقال له هديت وكفيت وتخلى عنه الشيطان".

- ومنها دعاء الاستخارة فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر- ويسمي حاجته- خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفه عنى واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به" وما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وتثبت أمره فقد **قال سبحانه** :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩]

******

الفصل السادس



للمعاصي آثار كبيرة وعظيمة على التوبة فهي تؤدى إلى هدم الشعوب وفساد القلوب وخراب البيوت وتشتت الآراء وتمزق الأفكار.

ما نجست الأرض والأرزاق ولا قست القلوب ولا جف الدمع في العيون إلاّ من الذنوب والمعاصي.

وما غضب الجبار وما نصاب به من فزع وخوف إلاّ من الذنوب والمعاصي.

وما أقيمت النار ومشاهد العذاب وما نصب الصراط إلاّ من الذنوب والمعاصي.

ما تكررت قضية في القرآن وما أخذت مساحة كبرى كما أخذت مشكلة التقوى والذنوب والمعاصي من مساحة.

فنقص التقوى والخوف من الرحمن هو السبب الرئيسي من أسباب المعاصي **قال تعالى**:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

وتعددت تعريفات العلماء للتقوى:

فقال شيخ الإسلام بن تيمية" العمل بالمأمور وترك المحظور".

وقال الإمام على بن أبي طالب "هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل".

وقال الإمام بن رجب" التقوى ترك الذنوب كبيرها وصغيرها"

وأعلم أن تقوى الله جل وعلا هي درجة الإحسان حيث قال رسول الله - ﷺ - " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "والتقوى فسرها رسول الله عليه الصلاة والسلام بعمله وسلوكه فكان يقول للصحابة" إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا" وأتى الصحابة فكانوا نموذجاً خالداً لتفسير التقوى في الحياة فلم تكن التقوى عندهم كلمات جوفاء خارجةً عن حيز التنفيذ فعند الإمام مالك في الموطأ موقوفا على الحسن" ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل"

إذن من أين تأتى التقوى لهؤلاء؟

من عدة أسباب :

أولاً: قصر الأمل بأن تضع الموت نصب عينك في كل لحظة فعندها تخاف الله في كل لحظاتك خوفا من الموت على معصية.

ثانيا: غلبة العقل على الهوى.

ثالثا: مراقبة الواحد الديان على نور من الكتاب والسنة.

دخل أبو بكر ذات يوم مزرعة رجل من الأنصار فرأى طائر يطير من شجرة إلي شجرة فبكى وجلس فقال له الصحابي: مالك يا خليفة رسول الله قال: طوبى لهذا الطائر. يشرب الماء ويأكل الثمر ثم يموت لا حساب ولا عذاب يا ليتني كنت طائراً.

أنظر إلى محاسبتهم الدقيقة لأنفسهم فهم وضعوا الآخرة وسرعة لقائهم بربهم نصب أعينهم إنها زيادة الإيمان في القلوب.

روي عن أبي بكر عن النبي - ﷺ - قال " إن للجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد "؛

فيقول أبو بكر يا رسول الله هل يُدْعى أحد من هذه الأبواب الثمانية ؟

فيقول الرسول قد علمت أنه لا يسألني غيرك هذا السؤال وأنت منهم أن شاء الله أنظر إلى الهمم العالية وكيف كان هدفهم متجه صوب الجنة.

وروى عمر وهو يتحدث عن أبي بكر يقول: لما تولى أبو بكر الخلافة كان يخرج بعد صلاة الفجر كل يوم فكان عمر يلحظه وينظر أين يذهب ؟ فإذا هو يذهب إلى إحدى الخيام في أحد أحياء المسلمين.

ذهب عمر وراءه يوماً من الأيام وخرج أبو بكر من الخيمة فدخل عمر وراءه من حيث لا يراه أبو بكر فرأى امرأة عجوز عمياء حسيرة كسيرة داخل الخيمة ، فقال لها عمر يا أمة الله من أنت؟ فقالت عجوز حسيرة كسيرة عمياء قال من هذا الشيخ الذي يأتيكم؟ قالت لا اعرفه قال: ولم يأت ؟ ، قالت يصنع لنا طعاما ويكنس بيتنا ويحلب شاة لنا فأخذ عمر يبكى ويقول أَتعَبْتَ الخلفاء من بعدك يا أبا بكر.

وأبو بكر مثل عظيم للتقوى وإذا ضربنا لخوفه من الله الأمثلة ما كفي لنا الزمان أن نسردها.



وهذا القيم بن القيم يقول عن أبي بكر ما يلي:

"من لي بَسِيرة الصديق أول المصلين وفي أول الصائمين وفي أول الذاكرين وفي أول المجاهدين".

إنها والله التقوى ولا يمكن أن نفهمها إلاّ في قراءة سير أولئك الذين رفع الله منزلتهم.

فهذا رسول الله - ﷺ - يقول " هل أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال: هل شيع أحد فيكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال: هل تصدق أحدكم اليوم بصدقة قال: أبو بكر أنا قال هل عاد أحدكم اليوم مريضا قال: أبو بكر أنا قال: ما اجتمعت هذه الأمور في أحد في يوم واحد إلاّ دخل الجنة.

وهذه الأخبار الصادقة من الرسول - ﷺ - في خبر أنه من أهل الجنة ما زاده ذلك إلاّ خوفا ووجلا من الجليل وما جعله يركن ذلك إلى هذه الوعود بل زاده ذلك خوفا وورعا وزاد من محاسبة نفسه لعله يصيب رضا ربه ويدخل جنته ويبتعد عن النار.

فكان الرجل الأول في هذه الأمة لما في نفسه من محاسبة وخوف وطمع في رضا الرب جل وعلى واستحق هذا الشرف من أن بشره الرسول بدخوله من أبواب الجنة الثمانية.

وربما قال رجل ما لنا ومال الصحابة هم أتباع النبي ونحن في زمان آخر فأقول له مقوله أبا سفيان الثوري رحمه الله تعالى :

"سأل أحد التابعين قائلاً يا أبا سعيد "ذهب القوم يعنى الصحابة على خيول جادة ونحن نذهب على حمير"

قال والله ليصلن بالقوم إذا سلكت ما سلكوا ولو كنا على الحمير بحيث نبقى على الخطوة على الاتجاه وعلى الطريق الذي ساروا عليه".

وللذنوب آثار منها :

١- الضيق والهم .

٢- حرمان الرزق .

٣- نسيان العلم .

٤- البغض في القلوب .

٥- الوحشة بين قلوب الخلق .

٦- قسوة القلوب أو موتها .

٧- ضياع العمر .

٨- عواقبها في الآخرة يوم يأت الإنسان بلا توبة مفلسا من الخير .

- والله ما ذاق الناس أمر من المعاصي ولا تجرعوا أخبث ولا أشد ولا أنكر من السيئات.

فهي مدمرة لكل شيء وحصادها مهلك مر في الدنيا والآخرة .

وليس لها ثمار إلاّ الضنك في الدنيا ودخول النيران في الآخرة وغضب للرحمن.

ومن آثارها المهلكة:

المسألة الأولى: وأعظم أثر للذنب هو الضيق والهم والغم الحزن:

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه١٢٦:١٢٤]

وكلمة ضنك كما يقول سيد قطب يكاد الإنسان يختنق بها لأنها تؤدى إلى معنى عجيب وهى الحياة التي يعيشها المعرض عن الله.

فهم سكنوا ناطحات السحاب واستقلوا السيارات الفارهة ولكن لما أعرضوا عن منهج الله ردهم الله تعالى وجعل حياتهم تعاسة وقهرا وأقرب مثلا لذلك الذين يعيشون في السويد فهم يحصلون على أعلى الرواتب في العالم وأعطوا أنفسهم كل أنواع الرفاهية مما هو حلال ومما هو محرم وأعطوا الجسد كل ما يستحق ولكنهم مع ذلك فيهم أعلى نسبة انتحار في العالم فهم ظلوا يحاولون الحصول على السعادة المادية لكنهم أهملوا الروح فظلت حائرة فزادت نسبة الانتحار لذلك السبب لأن السعادة المادية ليست وحدها سببا للسعادة فالجسد عبارة عن بدن وروح ولا بد من مراعاة الروح مع الجسد والروح لا يريحها إلا ما خلقت من أجله ألا وهو التلذذ بعبادة الله جل وعلا وحده لا شريك له فلا تكن ممن يريح البدن ويترك الروح حائرة تبحث عن راحتها وسعادتها فتمغص عليك حياتك وتدفعك إلى ما تكره.

قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزُخرُف٣٣ :٣٥]

وأما المسألة الثانية وهى: حرمان الرزق:

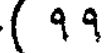
وحرمانه يكون من كل جوانبه من حرمانه أصلا ووجوداً وحرمان بركته ونوره.

البعض تجده يعيش الفاقة عديم الرزق ولذلك صح عن ابن عباس من كلامه أنه قال:

" إن للحسنة نورا في الوجه أو بياضاً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وأن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب وضيقاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق".

والبعض يبطر بالنعمة ولا يحترمها ويستعلى عليها ولا يستغلها في طاعة الله تبارك وتعالى ولذلك كانت هذه الأسباب من أهم أسباب حرمان الرزق فالله لا يبارك في رزق صحبه عدم رضا بقضائه والرزق لا يطلب إلاّ من الله فلا يطلب من ولي ولا نبي.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٨]



لا رازق لنا غيره ولا معبود بحق سواه إلى الله كل شيء منتهاه فهو المنعم على عباده تفضل عليهم بالرزق وضمن لهم المعيشة فلا يحرم الرزق من أحد.

وحرمان الرزق يأيها الأخوة من أعظم آثار الذنوب **قال تعالى**:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦]

لكنهم ما آمنوا وما اهتدوا فأغلق عليهم أبواب البركات وحرمهم الخيرات ولذلك لا عزة بهذه الكثرة الكاسرة ولا خير في هذه الأصول إذا لم توظف في طاعة الله تعالى.

أما المسألة الثالثة : فهو نسيان العلم:

نقول ما لنا ننسي مالنا نخطئ مالنا لا نستحضر المعلومات؟

والجواب يعود السبب فيه إلى أمرين:

السبب الأول: إما أن يكون أصل في الجِبِلّة والفطرة مفطورة على هذا.

قال الذهبي : معلقا عليه لعن الله الإلحاد بالذكاء وأحيا الله البلادة بالتقوى.

إن الذكاء لا يتقيد دائما بالتقوى لأننا نجد بعض العلماء من لا يستحضر النصوص أو لا يعرف التخريج وهو من أفضل عباد الله ومن أَفْقَه خلق الله في طلب العلم الشرعي وهذا مما ذكره الإمام بن حجر.

أما السبب الثاني فهو قسوة القلوب:

قال تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣]

وقال أيضا :

﴿ ... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

وبمفهوم هذه الآية نعلم أن من يَتّقي الله يعلمه الله ويزيد في علمه ومن لا يتقي الله لا يعلمه الله والذنب هذا في طلب العلم أمره عجيب فهو يؤدي إلى نسيان العلم بالكُلّيّة.

قال الجلاد: نظرت منظراً لا يحل لي فقال لي أحد الصالحين أتنظر إلى الحرام؟

والله لتجدن إربه ولو بعد حين فنسيت ما حفظت من القرآن. ذكره الذهبي وبن تيمية.

وهذا الشافعي رحمه يقول في أحد أشعاره:

شكوت إلى وكيع سوء حفظ

فأخبرني بترك المعاصي

وقال لي بأن العلم نور

ونور الله لا يهدي لعاصي



قيل لوكيع ما أحسن دواء للحفظ ؟

قال: أكل الزبيب وبعضهم قال البطاطس.

و قال مالك لأحد تلامذته وهو محمد بن إدريس" يا محمد إني أرى فبك نجابة و إني أرى لك إمامة في هذا الدين فإياك والمعاصي فإنها تتلف العلوم أو كما قال رضي الله عنه"

ولذلك قال الله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣]

أما المسألة الرابعة :البغض في قلوب الناس:

إعلم أن البغض والحب يأتي من فوق سبع سماوات من عند الله وقد يصنع الناس الأعاجيب ليحصلوا على حب الناس لكن يَأْبى الله إلا أن يُكَرْه فيهم الناس بسبب ما يقترفونه من ذنوب.

والحب والقبول ليس يصنعهما أحد والناس قد تصنع حبا مصطنعاً والناس قد تصفق لك لأن من ورائك مصلحة وجاها وفلوس ومراتب عُلْيا.

لكن الحب الملقى من الواحد الأحد هو الحب مع القبول كما أورد البخاري في كتابه بابا" المقت من الله " ثم أورد حديثا يدل على ذلك:

قال رسول الله - ﷺ - " إذا أحب الله العبد قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبوه فيحبوه ثم يوضع

له القبول في الأرض وإذا أبغض الله أحد قال لجبريل إني أبغض فلانا فيبغضه جبريل ويقول للملائكة إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغض في الأرض".

وأعلم أن من أسباب البغض بين الناس المعاصي لأنه أبى الله إلا أن يفضح من يفعلها وينشر له البغض بين الناس.

قال بن الجوزي في صيد الخاطر:

قد رأيت نفراً من الناس يتصنعون في كلامهم وفي مشيتهم ويكثرون من الصلاة والصمت والصيام والقلوب تنفر عنهم ورأيت أناسا يأتون من المزح ويتوسعون في غير المحرم والقلوب تنصت عليهم أو تلتف حولهم أو كما قال فعلمت أن الأمر في السرائر"النيات" الخفية ولكنها عند الله بادية للعيان.

- ولذا والله نعرف أشخاصا يريدون أن يحبهم الناس كثيراً ويحاولون أن يوجدوا أمراً من الأمور يلفت إليهم الأنظار ولكن أبت القلوب.
- ونعرف أناسا ما حرصوا على حب الناس أو مدحهم ولكن أقبلت إليهم القلوب بالدعاء وبالحب والشوق واللهفة حتى يتمنى كثير من الناس الجلوس معهم.
- وفي ذلك يقول أبو الدرداء " لو أطاع طائع ربه وراء سبعة أبواب لأخرج الله أثر طاعته للناس ولو عصى الله عاصي وراء سبعة أبواب لأخرج الله أثر معصيته للناس".

أما المسألة الخامسة : الوحشة بين العبد وبين ربه:

والوَحْشة أمرها عجيب ومكمنها أنها ترتقي بالعبد فوق مظاهر الحياة الزائفة فترى الرجل يجمع من المال الكثير والأولاد كثير لكنه مع ذلك لا يشعر بسعادة ولا راحة بال ويعيش مثل الحمار يعمل ليلاً ونهاراً ولا يقتنع برزقه.

إن السعادة والنعيم لن تكون بالمال ولا بالأولاد وإنما في طاعة الله عز وجل فهي خير زاد.

كما قال القائل:

ولم أرى السعادة جمع مال

ولكن التقي هو السعيد

ويبدوا المرء قلقا مزعزعا حتى يقول بن القيم" أن العاصي دائما إذا سمع نسمة من الريح يظن الصوت عاليا"

قال تعالى:

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾

[المنافقون:٤]

وهذا واقع العصاه لو تحرك الباب خاف لأنه كما قيل تصفد وتقفل أكثر طرق الإجابة والقبول بينكم وبين الله فكيف تطالبون حلاوة الإيمان والراحة النفسية.

قيل لأبى معاذ الرازي أيجد العبد حلاوة الطاعة إذا هم بالمعصية قال: لا والله لن يكون هذا لا والله حتى ولو هم بها دون فعلها لا يجد حلاوة الطاعة بل يجد وحشة والوحشة لها آثار كثيرة.

نجد البعض لا يثق في موعود الله ويمر على المصحف وكأن آيات الجنة والنار وآيات الله عز وجل ليست بآيات تقرأ ويتعبد بها إلي الله عز و جل وقد أمرنا الله إن نحسن الظن به والتعبد له بآياته هي من حسن العمل ولكن كيف ذلك وعلي قلوب أقفالها **قال تعالي** :

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)﴾ [النساء:١٥٥]

وقال أيضا :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء:٨٢]

نجد الفسقة أكثر الناس ضحكاً لكنه مهزوم من داخله يكثر من الضحك ليدارى همومه وإذا سألته أراك كثير الضحك قال لك أخفف بالضحك بغض همومي والعلماء ذكرَ للقلب هموما تبدأ بالغيظ وتنتهي بالقتل .

وأعلم أن موت القلوب لا يحس وقد تجد بعض الناس يرتكب من الذنوب والخطايا مثل الجبال ولكن ما يحس بأنه ارتكب ذنباً تقول له لا تغتاب يقول الغيبة سهلةٌ هينةٌ وإذا سألته عن إسبال الثوب قال هذه قشور وإذا سألته عن حلق اللحية قال الأمر سهل ليس الإسلام قضية حلق لحية أو تقصير ثوب يستيقظ علي

الألحان وكأنه يقول أصبحنا وأصبحت الموسيقي لله وأمسينا وأمست الموسيقي لله فهذه والله هي الوحشة مع الله التي تبدأ بفعل المعاصي وتنتهي بكره تعاليم الله وعدم قراءة القرآن وتدبر آياته ويصبح القلب خاليا من الخشية لله جل وعلا وتنتهي بموت القلب وعدم التأثر بتعاليم القرآن.

المسألة السادسة: قسوة القلب:

إعلم أخي أن موت القلب أو قسوته تأتى من السير في الآثام والمعاصي والخطايا فتجده قاسى القلب لا يتأثر بالقرآن **قال تعالى**:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة:٧٤]

وابن تيمية يرى في كتابه درء تعارض العقل والنقل يقول " كل خطاب موجه لبنى إسرائيل يقتضى عملاً فإن المقصود به نحن . وعلى المثل السائر إياك أعنى واسمعي يا جارة"

وقال سبحانه :

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

[الحديد:١٦]

إخواني في الله: ابن القيم في " مدارج السالكين" يذكر أسباباً لقسوة القلب منها الذنوب والمعاصي والخطايا .

ونعوذ بالله من موت القلوب **قال تعالى**:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

[الأنعام:١٢٢]

فورد عن أبو بكر الصديق أنه مر على قوم من الصحابة فوجدهم يبكون قالوا كنا كذلك حتى قست قلوبنا قال سببه شواغل الحياة التي تحدث للمؤمن فقد يقسو قلبه بذلك وهو ليس آثم وبهذا بسبب فعل مباح.

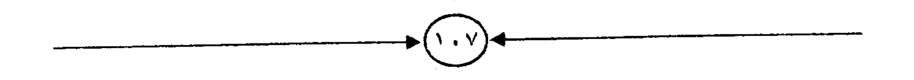
ذكره عبد الغنى المقدسي بسند صحيح.

فهذا يدل على عمل مباح فيعذر ويشكر على ذلك ، أما القسوة التي يُلاَمُ عليها العبد فهي ترك ذِكْر الله والإدبار والإعراض عن تدبر القرآن الكريم وعدمه وَتَذكُر الموت ولقاء الله الواحد الأحد.

المسألة السابعة: ضياع العمر:

كل شيء يعوض إلاّ العمر وكل شيء إذا ذهب ربما نستعيده من طريق أو آخرى إلاّ العمر ما مضى فات.

حتى قال أحدهم " ما مضي فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها".



قال تعالى:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر:٣٧]

وقال أيضا:

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)﴾ [المؤمنون١١٢ :١١٣]

وعن رسول الله ﷺ " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".

وأعظم ما يضيع العمر المعاصي وأحرص ما حرص عليه السلف الصالح العمر وإذا ذهب في المعاصي فقد ذهبت الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

السلف كانوا يحذرون من المُبَاحَات خوفا والآن أخذتنا المعاصي لا المباحات في الأوقات فنسأل الله أن يتوب علينا وعليكم.

قيل لكنز بن وبره اجلس معنا" وهو أحد العباد" قال امسك الشمس أجلس معك" معناه أن الشمس تذهب وتأتي وتقرض العمر.

كما قال الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق و ثواني

فلا تضيع عمرك فيما لا يفيد وأرجو رحمة الله جل وعلا في كل وقت وحين.

واعلم أن المآسي التي نشاهدها عندنا في ديار المسلمين سببها الرئيسي أنهم أبطلوا وصولهم وضيعوا جاههم مع الله سبحانه **قال تعالى**:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧]

ولكن أعظم ما مُنيَّ به المسلمون إلا من رحم ربي ضياع العمر فكيف إذا كانت المعاصي والخطايا فوق ضياع العمر بلا طاعة.

المسألة الثامنة: فهي عواقبها في الآخرة يوم يأتي الإنسان بلا توبةً مفلساً من الخير:

فهي عقوبات في الآخرة ذكرها الله في كتابه ورسوله عليه الصلاة والسلام وتوعد بها.

فالزاني له عقوبة والقاتل له عقوبة وللكاذب عقوبة ولعقوق الوالدين عقوبة فنعوذ بالله من عقوبة من الله وغضب منه ومن عذاب الله. **قال تعالى**:

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٣]

واعلم أنه لابد من البعد عن المعاصي فإن خطرها كبير **قال تعالى**:

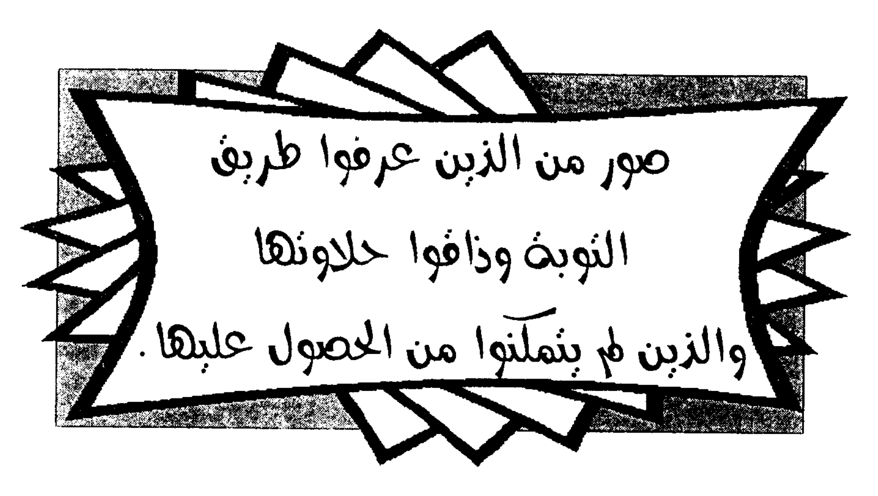
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وكأن الأمر فيه صعوبة **وقال تعالى**:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢]

الفصل السابع





القصـــــــة الأولى: هي قصة تهز الوجدان من أحسن القصص ومن أصحها ما خطتها يد كاتب ولا تدخلت فيها الكُتاب.

هذه القصة لرجل أساء بالغ الإساءة وظلم وتجاوز الحد في الظلم أسرف على نفسه فلا قلبه يخشع ولا عينه تدمع.

هذا الرجل من بني إسرائيل خطيئته كبرى وجريمته نكرى فما خطيئته؟ وأي ذنب ارتكبه؟ وأي جُرم أتى به؟

لقد سفك الدم الحرام بغير حِلِه وأزهق أنفسا بريئة أترونه قتل نفسا؟ لا. !! قتل عشراً؟ لا. !! لا والله قتل تسعة و تسعون نفسا !! ما أبشعها من خطيئة لكنه أحس بالندم وشعر بخطورة أمره وبفداحة خطئه.

فردد: هل لي من توبة؟ تساءل وكرر السؤال فدل على عابد ما استنار قلبه بنور العلم فتعاظمت الخطيئة بأن حجْر العابد رحمة الله التي وسعت كل شيء

فقال: لا أبعد قتل تسعة وتسعون نفسا ليس لك من توبة فما كان منه الا أن أستل سيفه وأطاح برأسه فأتم به المائة.

غير أن السؤال مازال يتردد في صدره هل لي من توبة؟ فدل على آخر لكن هذه المرة دل على رجل عالم قد أنار الله قلبه بالبصيرة ونور العلم فقال له ما يحول بينك وبين التوبة؟

ثـم زاده في الدلالـة والإرشـاد فقـال لـه انطلـق إلى أرض كـذا فـإن بهـا أناسـا يعبدون الله فأعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

فأنطلق الرجل لا يَنْوِي على شيء تحمله البلاد وتحطه النجاد يسارع الخطى ويحث السير يريد أن يصل إلى أرض الخير يريد أن يصل بسرعة فقد عرف الطريق طريق الهداية فلما انتصف الطريق ودنا الأجل وأحس بالموت آتيا له نأى بصدره شوقا إلى تلك الديار ديار الخير ليعمر حياته فيها بالإيمان ولم يرها غير أن الأجل كان أسرع منه فوافته منيته.

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة قد جاء تائباً مقبلاً على الله غير مدبر.

وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل الخير قط ، فأوحى الله إلى هذه الأرض أن تباعدي" أرض الشر" ولهذه الأرض أن تقاربي " أرض الخير" .

فأتاهم ملك في صورة إنسان فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كانت أدنى فهو له فقاسوها فوجدوه أدنى إلى أرض الخير بمسافة شبر واحد فقبضته الملائكة ملائكة الرحمة.

ولهذه القصة العديد من الدروس المفيدة:

الـدرس الأول: لقد أقبل على الله فأقبل الله عليه وأحبه بل وخرق لأجله نواميس الكون بأن جعل الأرض تتقارب إليه حتى يدخله الله الجنة.

الدرس الثـاني: ضرورة العلم في إصلاح هذا الكون لأنه مع قلة العلم نجد الناس تفتى بدون علم وهذا ما جاء عندما دل على رجل عابد غير عالم فأفتى له بالخطأ فزادت المصيبة بأن قتله وزاد من قتلاه وعندما دل على رجل عالم أفاده بعلمه ودله على طريق الخير.

الدرس الثالـث: شرح الصدر بالتوبة وذلك عندما علم بأنه لا يحول بينه وبين التوبة إلى الله شيء فسار مسرعا إلى أهل الصلاح فرحا بتوبته لا ينظر إلى المتاعب التي تقابله في طريقه إلى أهل الصلاح.

الـدرس الرابـع: ضرورة معاشرة أهل الخير والصلاح وهذا اتضح عندما نصحه بمصاحبة أهل الصلاح والهجرة إليهم وضرورة هجر أهل السوء والضلال حتى لو اضطرت إلى الهجرة من مكان معيشتك إليهم.

الدرس الخامس: أن للذنوب نار في القلوب تحرقها كما في القصة عندما قتل مائة نفس ومع ذلك ظل الذنب يحرق صدره حتى تاب منه فهو صدق مع الله في البحث عن التوبة فأعانه الله على الحصول عليها.

الدرس السادس: التوبة الصادقة من كل الذنوب ليس لها جزاء إلاّ الجنة حتى وإن كنت فعلت من الذنوب كل طرقها فعند توبتك تبدل هذه السيئات إلى حسنات حتى يصقل ميزان فتدخل الجنة ويرضى عنك الرحمن جل وعلاّ.

القصـــة الثـــانية:

هـذا شـيخ هـرم كـبير السـن انحنـى ظهـره ورق عظمـه أقبـل علـى رسـول الله - ﷺ - وهو جالس بين أصحابه يوما يجر خطاه وقد سقط حاجباه على عينه وهو يدعم على عصاه جاء يمشي حتى جاء بين يدي الرسول - ﷺ - فقال بصوت

تصارعه الآلام يا رسول الله أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها فلم يترك حاجة ولا داجة إلا آتاها ولو قسمت خطاياه بين أهل الأرض لأبقتهم فهل لذلك من توبة؟

فرفع النبي - ﷺ - بصره إليه فإذا شيخ قد انحنى ظهره واضطرب أمره قد هده مُرَّ السنين والأعوام وأهلكته الشهوات والآلام فقال له - ﷺ - :فهل أسلمت ؟

قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن لك كلهن خيرات فقال الشيخ وغدراتي وفجراتى فقال نعم فصاح الشيخ الله أكبر... الله أكبر...الله أكبر حتى توارى عنهم.

الدروس المستفادة من القصة:

الدرس الأول: الأمل في التوبة من الذنوب والمعاصي في كل وقت أمل العاصي الذي ابتعد عن ربه فهو يحس بالغربة ويحس بالندم على ما اقترف من المعاصي ويظل يبحث عن التوبة حتى يلقاها.

الدرس الثاني: عدم اليأس من المغفرة والحصول على التوبة مهما طال العمر وزاد الضعف لكن لابد من الأخذ بالأسباب للحصول عليها فهذا الرجل ذهب إلى النبي وأخذ بالأسباب للحصول على التوبة مع ما يعانيه من آلام فكل شيء يهون إلاّ دخول النار فالذنوب ثقيلة لا يستحملها أشد الناس قوة فما بالنا بمن أكل منه العمر وشرب.

الدرس الثالث: لابد من تبشير الناس بقبول التوبة حتى لو فعلوا كل الذنوب مثلما فعل الرسول مع هذا الرجل الهرم الذي فعل من الذنوب كل أنواعها.

الدرس الرابع: إن الاعتراف بالذنب أولى خطوات العلاج الناجح للذنوب فقد يكابر الإنسان وعندها تكون الطامة الكبرى القاضية للإنسان لأنه لابد من ذُل النفس لربها في طلب المغفرة.

القصة الثـــالثة:

هو شاب من الصحابة متزوج في المدينة وسوس له الشيطان يوما وأغراه بجارية لرجل من الأنصار فخلا بها عن أعين الناس وكان الشيطان ثالثهما فلم يزل يزين كلا منهما للآخر حتى وقعا في الحرام فلما فرغ ماعز من جرمه تخلى عنه الشيطان فبكى وحاسب نفسه ولامها وخاف من عذاب الله وضاقت عليه حياته حتى أحرق الذنب قلبه فجاء إلى طبيب القلوب ووقف بين يديه وصاح من حُرّ ما يجد وقال يا رسول الله إن الأبعد قد زنى فطهرني فأعرض عنه الرسول - ﷺ - فجاء من شقه الآخر فقال يا رسول الله زنيت فطهرني فقال له رسول الله - ﷺ - ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء إلى النبي - ﷺ - وقال ويلك وما يدريك ما الزنا ؟ ثم أمر فطرد وأخرج ثم أتاه ثانية فقال يارسول الله زنيت فطهرني فقال ويلك وما أدراك ما الزنا؟ فلما أكثر عليه سأل الرسول - ﷺ - قومه أبهِ جنون؟ قالوا يا رسول الله ما علمنا به بأسا فقال لعله شرب الخمر؟ فقام رجل فاستنكهه وشمه فلم يجد منه ريح خمر فقال - ﷺ - هل تدري ما الزنا ؟ قال نعم أتيت من امرأة حرام مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً فقال له الرسول الكريم فما تريد بهذا القول؟

قال : أريد أن تطهرني قال نعم فأمر به فَرُجِمَ حتى مات فلما صلوا عليه ودفنوه مر النبي - ﷺ - على موضعه مع بعض أصحابه يقول أحدهما لصاحبه:



أنظر إلى هذا الذي ستره الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رجم مثل الكلاب فسكت النبي - ﷺ - ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه فقال - ﷺ - أين فلان وفلان؟ قالا: نحن ذائيان يا رسول الله قال انزلا فَكُلا من جيفة هذا الحمار قالا يارسول الله غفر الله لك من يأكل من هذا ؟ فقال - ﷺ - ما نلتما من عرض أخيكما أشد من أكل الميتة لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها.

الدروس المستفادة من هذه القصة:

الدرس الأول : الذنوب تسبب حرقة في القلب فهذا بعدما فعل فعلته من الزنا أحس بالذنب وتحرق قلبه منه فذهب إلى الرسول يداوي ما فيه من جراح.

الدرس الثـاني: أهمية الاستغفار لله الواحد القهار من الذنوب والخطايا حتى من الكبيرة مع اليقين في المغفرة فالله هو الغفور يجيب من دعاه واستغفره على المعاصي نادما على ما اقترف من الذنوب.

الدرس الثالث: أهمية الحدود في تكفير الذنوب وهذا يتضح من قصة هذا الشاب من قول الرسول لقد تاب توبة لو وزعت بين أمة لأوسعتهم مع أن ستر الذنب أولى من إقامة الحد وله عامل السحر في مغفرة الذنب.

الدرس الرابع: خطر الغيبة على المجتمع الإسلامي وهى أشد من أن يأكل الرجل اللحم المحرم اللحم الميت **قال تعالى** :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات:١٢]

القصة الرابعة:

هذا رجل من بني إسرائيل أسرف على نفسه كثيراً وهو موحد لا يشرك بالله قتل وزنا وسرق وغش وكذب وعمل من الذنوب كل أنواعها وانتهك حرمات الله تكبر وتجبر.

وفجأة حلت به سكرات الموت التي لم يُعْفَ منها أحد حتى رسول الله - ﷺ - فجمع أولاده في تلك الساعة ساعة لا ينفع مالا ولا بنون ولا منصب ولاجاه وقال لهم أي أب كنت لكم ؟ قالوا خير أب قال : فوالذي نفسه بيده ما عملت الخير قط غير أني أشهد أن لا إله إلا الله فإذا مت فأضرموا فِيَّ النار ثم إلقوني فيها حتى أصير فحماً ثم اسحقوني ثم ذروني مع الريح.

فمات فنفذوا وصيته أضرموا له النار ورموه فيها حتى صار فحماً ثم سحقوه ثم ذروه مع الريح تفرق على ذرى الجبال وعلى رؤوس الأشجار وعلى السهول وفي الأنهار لكن الذي خلقه أول مرة يعيده فقال له الله تبارك وتعالى: كن فكان ثم قال يا عبدي ما حملك على ما صنعت ؟ أما علمت أني أستر العيوب وأغفر الذنوب قال يا رب خفتك وخشيت ذنوبي فقال الكريم: أُشْهِدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له.

الدروس المستفادة من هذه القصة:

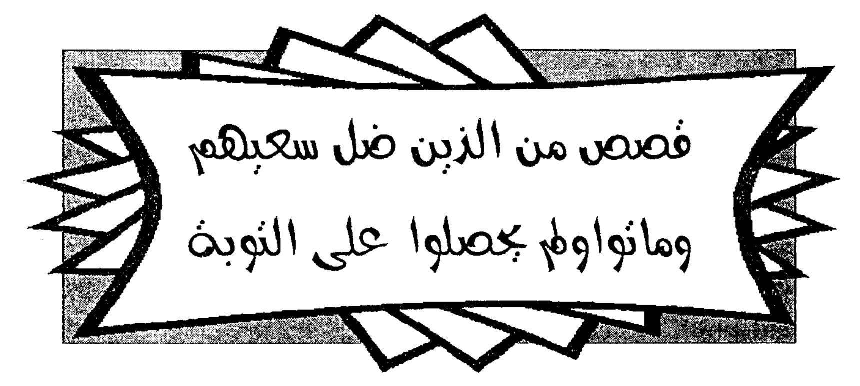
الدرس الأول: لابد من العلم بأن الله قادر على كل شيء فهو مع كل ما حاول الرجل من أن يخفي جثته بحيث لا تجمع قال له الله جل وعلا كن فكان قائما على صورته الأولى التي خلقه الله عليها.

الدرس الثاني: إذا علمت أن الله يستر العيوب فلما تخوفك الزائد فالله هو الكريم يتفضل على عباده بالمغفرة طالما لم يفشوا سترها.

الدرس الثالث: لابد من تنفيذ الوصية الشرعية التي ليست فيها مخالفات لأنه لا تنفيذ لوصية في معصية الخالق وحرق الموتى ليس من شريعة الإسلام من شيء.

الدرس الرابع: أن المرء إذا أتى الله جل وعلا لا يشرك به شيئا غفر له ما تقدم من ذنبه ولا يبالى فالله يغفر الذنوب ويستر العيوب سبحانه العفو الغفور الذي وسعت رحمته كل شيء.





القصـــة الأولى:

عن شاب عاقّ والده عاش عمره على الكفر دعاه أبوه إلى الإسلام لله مراراً وتكراراً لكنه في النهاية كان يرفض الإسلام رفضا شديداً مع أن أبوه كان من أُولي العزم رسول الله لقومه نوح عليه السلام.

عاند وتكبر واستهزأ بالنبي في كل ما يقوله إليه منع السبيل إلى الله دعا نوح ربه أن يهديه لكن أبَى الله أن يُهْديه.

وعندما هم أبوه أن يبنى السفينة التي أمره الله جل وعلا أن يبنيها في وسط الصحراء وعندما علم ابنه ببنائها أخذ يتهكم عليه ويتهمه بالجنون و يتساءل كيف تسير هذه المركب داخل الصحراء ويَسْخَر من والده أمام أصحابه وعندما يأخذ في دعوته ومن معه للإسلام لله يضعون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا كلامه.

لكن الأب الحنون لم يفقد الأمل في أن يؤمن ابنه ويدعوه كل يوم وفي كل لقاء عسى أن يَرِقَ قلبه للإسلام لكن الابن يأبى إلاّ الكفر بالله الواحد القهار وأصر على عبادة الأوثان.

فأعرض عنه رسول الله عليه السلام وأخذ في الصدوع إلى أمر ربه جل وعلا وشرع في بناء السفينة وحمل فيها ما أمره ربه من الحيوان من كل صنف زوجين

وبعد ذلك بين لابنه ما سيحدث من غرق الأرض كلها بالماء فأعرض الابن العاق عن أبيه وقال له سأذهب إلى مكان عالي أحتمي به من الماء وفار التنور وخرجت منه الماء وأغرقت الماء كل جنبات الأرض وغرق الابن العاق ومات على الكفر.

الدروس المستفادة من تلك القصة:

الدرس الأول : أن العقوق مذموم يكرهه الله تبارك وتعالى وهذا الابن عاند وتكبر على والده ورفض أن يؤمن برسالة أبيه بل وعاداه واستهزأ به وتهكم عليه.

الدرس الثاني: لابد للداعية من الصبر على الأذى وعدم الملل فهذا نوح عليه السلام دعا ابنه مرارا وتكرارا ولم ييأس من إعراضه عن قبول دعوته **قال تعالى**:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح:٧]

الدرس الثالث: لابد الأخذ بالأسباب في كل شيء والتوكل على الله في كل كبيرة وصغيرة وهذا يتضح من أخذ سيدنا نوح بالأسباب وَصَدَعَ لأمر ربه جل وعلا وجهز السفينة حتى جاء أمر ربه وحدث الطوفان .

القصـــة الثانية :

هو رجل حزن النبي لفراقه آزر النبي - ﷺ - طيلة حياته ولكن مع ذلك مات على الكفر هو عم النبي - ﷺ - أبو طالب.

ناصر النبي في حياته أيما نصر وحماه من كفار قريش ومنع الرسول - ﷺ - من المشركين عمه الذي رباه وعطف عليه كل العطف.



عندما هَمَّت قريشاً بالمقاطعة للنبي وأهله ومن أسلموا معه عَرضوا عليه أن يلغوا هذه المقاطعة على أن يسلم الرسول لهم ليقتلوه وعرضوا عليه العروض المغرية ولكنه وقف في وجههم وقوف الأسد يدافع عن أشرف الناس أمام من يحاول الفتك به من أهل قريش ويمنعه بكل ما أُوتى من منعة وقوة.

حتى أنه ذات مرة قال :

والله لن يصلوا إليـك بجمعهـم
حتى أوسد فـي التـراب دفينـا
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وأبشر وقر بـذاك منـك عيونـا
ودعوتني وعرفت أنك ناصـحي
ولقد صدقت وكنـت ثـم أمينـا
وعرضت دينا قد عرفـت بأنـه
من خيـر أديـان البريـة دينـا
لولا الملامـة أو حـذار مسـبة
لوجدتني سمحا بهـذا الدين مبينا

لكن مر العمر بسرعة فجلس على فراش المرض ينتظر الموت ودخل عليه رسول الله ﷺ فوجده في نزعه الأخير وحوله أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية فدعا الحبيب عمه إلى الإسلام وقال له يا عم قل لا إله إلا الله كَلِمَةً أُحَاجُ لك بها عند الله يوم القيامة فقال له أبو جهل أترغب عن ملة عبد المطلب وأخذ يكلماه ويحذراه حتى مات وأخر كلمة قالها بل على ملة عبد المطلب .

فقال له النبي والله يا عم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت فيه الآية الكريمة:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣]

الدروس المستفادة من القصة:

الدرس الأول: لابد من تحمل الأذى في سبيل الدعوة لدين الله جل وعلا فلأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها.

الدرس الثاني: الإعراض عن المشركين فلا أُبالي بما يفعلون من طرق لمنع الدعوة لسبيل الله تعالى وهذا ما فعله الرسول - ﷺ - عندما دخل على عمه ووجد عنده أبو جهل فأخذ يدعو عمه إلى الإسلام غير مبالي بما يفعلون.

الدرس الثالث: لا يجوز الاستغفار لمن مات على الكفر حتى ولو كانوا أولى قربى لنهى ربنا تبارك وتعالى عن ذلك كما ورد في الآية الكريمة السابقة.

الدرس الرابع: نجد أنه لابد من الدخول في هذا الدين الجليل ومن كفر فإن مصيره إلى النار حتى لو بذل لهذا الدين من البذل الكثير لتثبيت هذا الدين مثلما فعل أبو طالب عم النبي ﷺ مع النبي لكنه مات على الكفر وأُدخل النار.

القصة الثالثة:

هي قصة لرجل بارز النبي بالعداء من أول وهلة من أول كلمة قالها النبي ﷺ هو عمه أبو لهب سب وشتم وبالغ في الصد عن سبيل الله.

عندما صدع النبي لأمر ربه جل وعلا وجهر بالدعوة صعد على جبل الصفا في مكة وأخذ ينادى على كل بطون قريش ويقول يا بني فهر يا بني عدي حتى اجتمعوا فجعل الرجل إن لم يستطع المجيء أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب مع رجال قريش فقال لهم أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغِيرَ عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط قال فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد.

فقال له أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت :



﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾

[المَسَد:٢]

ومات على الكفر لما فعله بالرسول - ﷺ - من منع الناس من أن تسمع كلامه وَسَبٍ لأشرف الناس.

الدروس المستفادة من هذه القصة:

الدرس الأول: مصير من تجبر وتكبر ومنع السبيل إلى دين الله مصيره الدخول إلى نار جهنم ويقال له أخسئ فيها خالداً.

الدرس الثاني: إن قريش كانت تصدق النبي - ﷺ - فعندما دعاهم الرسول من على جبل الصفا اجتمعوا له لأنهم يعرفون أنهم سيصدقهم القول.

الدرس الثالث: زيادة النبي - ﷺ - فخراً وشرفاً على شرفه بأن الله سبحانه هو الذي دافع عنه وَبَيَّن للناس جزاء من يسب النبي - ﷺ - بأن مصيره إن لم يتب سيكون إلى النار.

الـدرس الرابـع: بيـان إعجـاز القرآن الكريم في أنـه أخبر عن أشيـاء وقعت بالفعل وهذا يتضح من هذه الآية عندما أخبر الحق تبارك وتعالى عن جزاء أبى لهب فمات على الكفر ولم يؤمن بالله كما بشر الله في كتابه العزيز بأنه سيموت على الكفر ويدخل النار وهذا ما حدث بالفعل.

القصــة الرابعة:

عن رجل دعا الرسول ربه أن يجعله مسلما لكن أبى الله إلا أن يدخله الله النار قال رسول الله -ﷺ- " اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك ، بأبي جهل وعمر بن الخطاب فكان أحبهما إليه عمر".

رجل آذى النبي عَتَى وتجبر في عَدائه للإسلام ورد عنه أنه قال ذات مرة : يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل نعم فقال : واللاّت و العُزى لئن رأيته لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فأتى النبي وهو يصلى زعم ليطأ رقبته فجاءهم ألاَ وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقالوا مالك يا أبا الحكم ؟ قال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وَهَوْلاً وأجنحة فقال رسول الله -ﷺ- : لو دَنَا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا".

دعا عليه رسول الله -ﷺ- عندما ازداد آذاه له وأصحابه فعن بن مسعود-رضي الله عنه- : أن النبي -ﷺ- كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلي جذور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فأنبعث أشقى القوم فجاء بسلي جزور بني فلان حتى إذا سجد النبي -ﷺ- وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا انظر لا أغنى عنه شيئا لو كانت لى منعة قال فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله -ﷺ- ساجداً

لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم قال:" اللهم عليك بقريش " ثلاث مرات إذ دعا عليهم قال وكانوا يرون أن الدعاء في هذا المكان مستجابة ثم سمى " اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط" وعد السابع فلم نحفظه قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله - ﷺ - صرعي في قليب بدر.

وبسبب كثرة أذاه للنبي - ﷺ - مات في بدر مع من دعا عليهم النبي - ﷺ - فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: أنِّي لَفِي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيَان حَدِيثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل فقلت : يا إبن أخي وما تصنع به؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الأخر سرا مثل ما قال صاحبه قال :فما سرني أنى بين رجلين مكانهما فأشرت إليه فَشَدَا عليه مثل الصقر حتى ضرباه وَهُما ابنا عفراء".

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ " من ينظر ما صنع أبو جهل فأنطلق بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حث برد فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل فقال وهل فوق الأرض رجل قتلتموه أو قال : قتله قومه."

الدروس المستفادة من القصة:

الدرس الأول: جواز الدعاء للكافرين بدخول الدين لأن الأمر كله بيد الله جل وعلا وذلك عندما دعا الرسول - ﷺ - بأن يدخل الله أحد العَمَرَينَ في دين الإسلام.

الدرس الثاني: أن الله يدافع عن الذين آمنوا والله سخر كل جنوده للدفاع عن الرسول - ﷺ - وهذا ما حدث عندما هم أبو جهل بتعذيب النبي - ﷺ - عندما رآه يصلى داخل الكعبة.

الـدرس الثالـث: كثرة محبة الصحابة للنبي - ﷺ - وذلك عندما هب الصغير قبل الكبير للزود عنه وهذا يتضح من حرص هذان الشابان على قتل أبو جهل لما فعله من سب الرسول - ﷺ -.

الدرس الرابع: عَلَمَنا النبي أنه لتأكيد الدعاء يستحسن تكراره ثلاث مرات.

الدرس الخامس: أن الله لم يتأخر في إجابة دعوة نبيه ومع أول لقاء بين المسلمين والكافرين في مواقع القتال لبي دعوته و أمات أبو جهل على الكفر.

وأخيرا أزفت شمس العمر بالرحيل وما في صحائفي غير الذنوب فأرجو عفو ربى وأن يغفر لى كل زلاتي وكل الذنوب.

وختاما أرجو من الله أن ينفع به وينتفع به إنه ولي ذلك والقادر عليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.